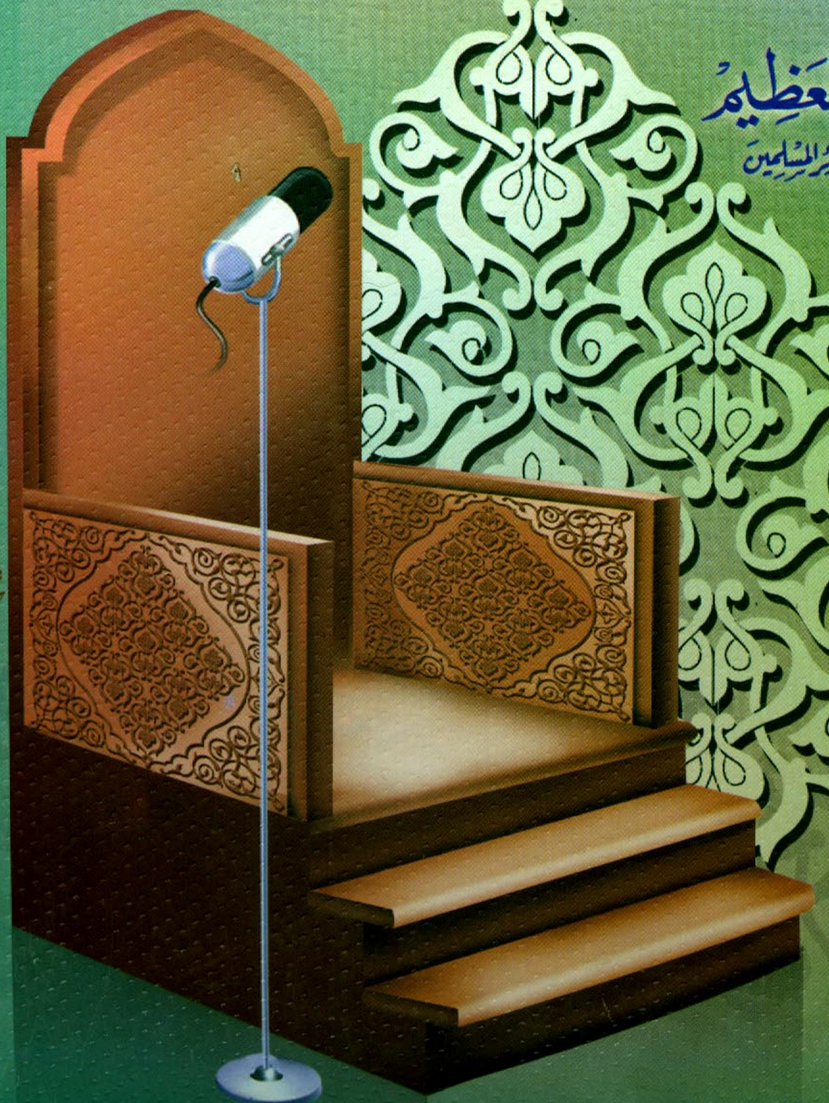
كيف تكون خطيبا؟

التيسير في الخطب والوعظ والتذكير

بقلم
سعيد عبد العظيم
غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين



دار الإيمان
الإسكندرية

كيف تكون خطيبا؟

التيسير في الخطب والوعظ والتذكير

فضيلة الشيخ الدكتور

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار القمة
لتوزيع الكتاب والشريط والفيديو
فاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

رقم الإيداع
٩٥٧٧ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولي
977-331-409-X

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١) ﴾

[النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١) ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أثنى الله على هذه الأمة فقال: **﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾** [آل عمران: ١٠٩].

وهذه هي صفة هذه الأمة في الكتب السابقة، ففي صحف شَعْيَا في كلام طويل في معاتبة لبني إسرائيل وفيه: « فإني أبعث إليكم وإلى الأمم نبياً أُمياً ليس بفظ ولا غليظ القلب ولا سخاب في الأسواق، أسدِّده لكل جميل، أهب له كل خلق كريم، ثم أجعل السكينة لباسه، والبر شِعاره، والتقوى في ضميره، والحكمة معقوله، والوفاء

طبيعته، والعدل سيرته، والحقَّ شريعته، والهدى ملَّته، والإسلام دينه، والقرآن كتابه، أحمدُ اسمه، أهدى به من الضلالة، وأرفع به بعد الخمالة، وأجمع به بعد الفُرقة، وأؤلف به بين القلوب المختلفة، وأجعل أمته خير أمة أُخرجت للناس، قرابينهم دماؤهم، أناجيلهم في صدورهم، رهباناً بالليل، لُيوثاً بالنهار» ﴿ **ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ** (٢١) ﴾ [الحديد: ٢١]، فالصالحون وأهل الفضل من هذه الأمة، هم الشهداء على الناس يوم القيامة، قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نحن خير الناس للناس نسوقهم بالسلاسل إلى الإسلام، وقال رسول الله ﷺ: « **أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله**» (١).

وقال تعالى في وصف نبيه ﷺ: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (١٥٧) **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** (١٥٨) ﴾ [الأعراف: ١٥٧، ١٥٨] وقال: ﴿ **لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ** ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فذكر تعالى بعثته إلى الأمِّيين وأهل الكتاب وسائر الخلق من عَربهم وعجمهم، فكل من بلغه القرآن فهو نذير له.

قال ﷺ: « **والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ولا يؤمن بي إلا دخل النار**» (٢).

وهكذا في قصة إسماعيل من السِّفر الأول: «أن ولد إسماعيل تكون يده على

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(٢) رواه مسلم.

كل الأمم، وكل الأمم تحت يده وبجميع مساكن إخوته يسكن»، وهذا لم يكن لأحد إلا لرسول الله ﷺ، وأيضاً في السِّفر الرابع في قصة موسى: أن الله أوحى إلى موسى عليه السلام: أن قل لبنى اسرائيل: سأقيم لهم نبياً من أقاربهم مثلك يا موسى، وأجعل وحيي بفيه وإياه تتبعون، والبشارات في هذه المعاني كثيرة، فدعوته ﷺ دعوة عالمية ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** (١) ﴾ [الفرقان: ١]، وقال سبحانه: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** (١٠٧) ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال: ﴿ **وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ** (٨٨) ﴾ [ص: ٨٨].

وقد تعدت هذه الدعوة الإنس إلى الجنّ، قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ** (٢٩) **قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ** (٣٠) **يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ** ﴾ [الأحقاف: ٢٩، ٣١]، قالت الجن: أُنزل من بعد موسى ولم يقولوا أُنزل من بعد عيسى وذلك لأن التوارة شريعة مستقلة كالقرآن، أما الإنجيل فهو بعض الأحكام والآداب المكملة للتوارة فالإنجيل ليست شريعة مستقلة.

وقد ظل رسول الله ﷺ يدعو إلى الله منذ أن أكرمه الله بالرسالة إلى حين انتقاله إلى جوار ربه الكريم، وما دعا إلا بإذن ربه ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا** (٤٥) **وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا** (٤٦) ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦] وكانت دعوته على بصيرة ﴿ **قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** (١٠٨) ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقد بلَّغ ﷺ البلاغ المبين وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وأمته ﷺ يجب عليها أن تدعوا كما دعا، وهي داخلة في التكاليف تبعاً له، فقوله تعالى: ﴿ **وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ** (٦٧) ﴾ [الحج: ٦٧]، و ﴿ **وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** (٨٧) ﴾ [القصص: ٨٧]، لا يختص به ﷺ، قال تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا**

نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون (١٢٢)﴾ [التوبة: ١٢٢].

وقد وردت الأحاديث ترغب في الدعوة وتحث عليها، ففي الحديث: « **من دل على خير فله مثل أجر فاعله** »[(١)]، « **ومن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً** »[(٢)].

وقال ﷺ لعليّ: « **فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النعم** »[(٣)].

وعن أبي أُمامة الباهلي مرفوعاً قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلمي الناس الخير** »، ثم قال رسول الله ﷺ: « **فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم** »[(٤)].

لقد ضُيع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبر أزمان متطاولة ولم يبق منه إلا رسمه، كما يقول الإمام النووي، وهذا على زمنه هو، فكيف بزماننا نحن؟!، فمازلنا بحاجة لدعوة المسلمين للرجوع لإسلامهم وتحكيمه في حياتهم الخاصة والعامة، في سياستهم واقتصادهم واجتماعهم وأخلاقهم وحربهم وسلمهم ومسجدهم وسوقهم... وإلا فما أبعد الفارق بين الإسلام كدين والمسلمين كواقع، وما أبعد الهوية بين أمسنا ويومنا، حتى عاد الإسلام غريباً وسط أهله وبنيه كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء، وإذا انتقلنا إلى أوربا وأمريكا وهنا وهناك، وجدنا صورة مشوهة منفرة للإسلام، فالكثرة لم تسمع عن الإسلام – إن سمعت – إلا أنه دعوة لقتل الأبرياء وترويع الآمنين، وبغض

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) متفق عليه .
(٤) رواه الترمذي وقال : حسن غريب .

النظر عن السبب في هذه الصورة، هل هو سوء تصرفنا وانحرافنا عن ديننا أم هو الإعلام الغربي الفاجر، فالأمر على كل حال يستدعي بذل الجهد في إبلاغ الحق للخلق والإرتفاع إلى مستوى الإسلام، علماً وعملاً وجهاداً، وبذل النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم، ودعوة الخلائق جميعاً لإسلام الوجه لله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

فمهمة هذه الأمة إنقاذ البشرية من شقائها وتعاستها، وهداية أهل الكتاب وأصحاب الحضارة المادية المزعومة إلى طريق مستقيم ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

ولا يمكن للمسلم أن يهدأ له بال حتى ينفذ أمر الله ويكون الدين كله لله، وهذا يتطلب علو الهمة وتكاتف الجهود، ومعرفة الشرع والواقع، وسلوك سبيل الأنبياء والمرسلين في الدعوة إلى الله، والتخلق بأخلاق المؤمنين، إذ الدعوة بالسلوك أبلغ من الدعوة بالقول، ولا يكفي حُسن النية أو ابتداع مناهج لم يأذن بها الله، فلابد من اتباع صادق لرسول الله ﷺ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١] ونحن لا نخلق الفرص وأيضاً لا نضيعها، فلابد من حركة وعمل دؤوب، نواصل به الليل والنهار، ويؤدى كل منا دوره ومهمته، التي لا تقل عن دور الهدهد في حمل الأمانة عندما قال لنبي الله سليمان: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل: ٢٢]، وخصوصاً ونحن بإزاء أعداءٍ لا ينامون ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فإن لم ندعو صرنا محلاً وفريسة سهلة لدعواتهم المارقة لا ينبغي أن نفرط في صورة أو وسيلة مشروعة من صور ووسائل الدعوة، فالكل في سباق، وإلى الله المرجع والمآب، وغداً لا ينكشف الغطاء، ولِمَ للخطبة والوعظ من قيمة كبيرة، أردت أن أذكر ببعض التنبيهات المهمة التي

تتعلق بموضوعات مهمة، عساها تكون إعانة وتيسيراً للخطباء والوُعَّاظ والمدرسين، وذكرت بعض الآداب والمسائل والفوائد التي تتعلق بذلك، كما حرصت على إيراد بعض الخطب المأثورة، وسميت الكتاب « **التيسير في الخطب والوعظ والتذكير**» فاللهم انفعنا به وإخواننا وسائر المسلمين، واجعله حجة لنا لا علينا، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

وقفات التأهيل للخطب والوعظ والتذكير

أولاً: هديه ﷺ في خطبته:

ذكر ابن القيم – رحمه الله – هديه ﷺ في خطبته فقال:

كان ﷺ إذا خطب احْمَرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم، ويقول:

بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين، ويُقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى.

ويقول: أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل مُحدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ثم يقول: « **أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالاً فلأهله، ومن ترك دَيْناً أو ضياعاً (١) فإلي وعليَّ** » (٢).

وفي لفظ: كانت خطبة النبي ﷺ يوم الجمعة يحمد الله عز وجل ويثني عليه، ثم يقول على أثر ذلك، وقد علا صوته... فذكره.

وفي لفظ: يحمد الله ويثنى عليه بما هو أهله، ثم يقول: من يهد الله فلا مضلَّ له، ومن يُضللْ فلا هادى له، وخير الحديث كتاب الله.

وفي لفظ النسائى: كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وكان يقول في خطبته بعد الحمد والثناء والتشهد، أما بعد:

---

(١) **والضياع ، بفتح الضاد** : العيال . أى من ترك ترك عيالاً وأطفالاً لا يضيعون بعده فليأتونى لأقوم بكفايتهم ، وكان ﷺ يقضى دين من مات وعليه دين ، لم يخلف له وفاءاً . ولا يجب على الإمام أن يقضى من مال نفسه ، وفى وجوب قضائه من بيت المال ، إذا كان فيه سعة ولم يضق عن أهم من هذا ، وجهان مشهوران .

(٢) رواه مسلم .

وكان يقصر الخطبة، ويُطيل الصلاة، ويكثر الذكر، ويقصد الكلمات الجوامع.

وكان يقول: إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته، مَئِنّة [١] من فقهه. فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة، وإن من البيان لسحراً.

وكان ﷺ يعلّم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام وشرائعه. ويأمرهم ويناهم في خطبته - إذا عرض له أمر ونهي - كما أمر الداخل وهو يخطب أن يصلي ركعتين، ونهى المتخطي رقاب الناس عن ذلك وأمره بالجلوس.

وكان يقطع خطبته للحاجة تعرض، أو السؤال من أحد أصحابه فيجيبه. فإذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضّهم عليها.

وكان يشير بإصبعه السبابة في خطبته عند ذكر الله ودعائه.

وكان يستسقي إذا قحط المطر في خطبته.

وكان يمهل يوم الجمعة حتى يجتمع الناس، فإذا اجتمعوا خرج إليهم وحده. من غير شاويش يصيح بين يديه، ولا لبس طيلسان.

فإذا دخل المسجد سلّم عليهم. فإذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلم عليهم. ولم يدع مستقبل القبلة. ثم يجلس ويأخذ بلال في الأذان، فإذا فرغ منه قام النبي ﷺ فيخطب من غير فصل بين الأذان والخطبة. لا بإيراد خبر ولا غيره.

ولم يكن يأخذ بيده سيفاً ولا غيره. وإنما كان يعتمد على قوس أو عصا قبل أن يتخذ المنبر.

وكان في الحرب يعتمد على قوس، وفي الجمعة يعتمد على عصا. ولم يُحفظ عنه أنه اعتمد على سيف.

وما يظنه بعض الجهّال أنه كان يعتمد على السيف دائماً، وأن ذلك إشارة إلى أن الدين قام بالسيف، فمن فرط جهله، فإنه لم يحفظ عنه - بعد اتخاذ المنبر - أنه كان يَرْقَاه بسيف، ولا قوس. ولا قبل اتخاذه أخذ بيده سيفاً.

---

(١) مَئِنّة: بفتح الميم وبعدها همزة مكسورة، ثم نون مشددة. أي: علامة.

وكان إذا جلس على المنبر في غير الجمعة، أو خطب قائماً في الجمعة، استدار أصحابه إليه بوجوههم. وكان وجهه ﷺ قِبلهم في وقت الخطبة.

وكان يقوم ويخطب، ثم يجلس جلسة خفيفة، ثم يقوم ويخطب الثانية. فإذا فرغ منها أخذ بلال في الإقامة.

وكان يأمر الناس بالدنو منه، وكان يأمرهم بالإنصات، ويخبرهم أن الرجل إذا قال لصاحبه أنصت فقد لغا.

وكان ﷺ يقول: « **من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب، فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً، والذي يقول له أنصت ليست له جمعة** ».

وقال ﷺ: « **يحضر الجمعة ثلاثة نفر: رجل حضرها يلغو، فهو حظه منها. ورجل حضرها يدعو، فهو رجل دعا الله إن شاء أعطاه، وإن شاء منعهُ. ورجل حضرها بإنصات وسكوت، ولم يتخطَّ رقبة مسلم، ولم يؤذ أحداً، فهي كفارة له إلى الجمعة التي تليها، وزيادة ثلاث أيام. وذلك أن الله يقول: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾** [الأنعام: ١٦٠]» (١).

وكان إذا فرغ بلال من الأذان، أخذ النبي ﷺ في الخطبة، ولم يقم أحد يركع ركعتين البتة، ولم يكن الأذان إلا واحداً، وهذا يدل على أن الجمعة كالعيد، لا سُنّة لها قبلها. وهذا أصح قولي العلماء وعليه تدل السُّنة. وسيأتي الكلام على هذه الصلاة فيما بعد مفصلاً.

ثانياً: أيسر طريق لكسب قلوب وعقول السامعين:

كل خطيب وواعظ ومتكلم يريد أن ينفذ إلى القلوب، وأن تصل كلمته إلى العقول، وقد يسلك البعض مسلك التمثيل والتقليد والمحاكاة... أو يستحدث لنفسه طريقة خاصة يرفع بها صوته أو يخفضه، ويسرع بها أو يبطئ... وخير الهدى في هذا

(١) ذكره أحمد وأبو داود .

وغيره، هو هدي رسول الله ﷺ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١]، فهو أصدق الخلق لهجة وأفصحهم بياناً، وأحسنهم هدياً وأسرعهم وصولاً إلى القلوب والعقول ولم يكن ذلك مع أصحابه وأتباعه فحسب، ولكن مع مخالفيه ومبغضيه أيضاً، فعلى كل من أراد أن يحقق مقصوده في العاجل والآجل أن يُحسن التأسي برسول الله ﷺ.

والخطيب والواعظ: إذا غلب عليه الصدق، وخرج الكلام من قلبه قبل لسانه، سرعان ما يُحدث أثره، دخل محمد بن واسع المسجد، فسمع واعظاً يذكّر الناس، ويقول: ألا تدمعون، ألا تبكون، فقال له: ما أرى هؤلاء إلا أُتوا من قبلك، إن الكلام إذا خرج من القلب نفذ إلى القلب، وصدق محمد بن واسع: فإن الإنسان يؤتى من قِبَلِ نفسه، ولذلك قالوا: إن الكلام إذا خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان، والكذب والغش في الكلام يمحق بركته، وكثيراً ما ينكشف زيفه، إذاً العملة الزائفة لا تروج على الله ولا على عباد الله الذين أنار الله بصائرهم، وكلما قويت معاني الإيمان كان لصاحب الوعظ والتذكير أثرٌ أعظم وأكبر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦] أي مودة يقذفها لهم سبحانه في قلوب الخلق، وقلوب العباد بيد الله يقلبها كيف يشاء، وما عنده جل وعلا لا نناله إلا بطاعتنا له، فالأرض ليست منفصلة عن السماء، والعبد الذي يستقيم على أمر الله هو في واقع الأمر وحقيقته يستمطر الرحمة ويستدفع النقمة، ويكون الله في عونه، نعم المولى ونعم النصير.

ومن المشاهد أن الواعظ والخطيب الذي يستن بسُّنة رسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً أثره أعمق من غيره، وذلك لأن محبة رسول الله ﷺ في قلوب العباد، فكذلك سُنَّته، وكل متابع لهديه ﷺ له نصيبه من ذلك، قل أو كثر تبعاً لما هو عليه من إلتزام وتدين، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] والطريق إلى محبة الله تعالى يكمن في حياة الإيمان ومتابعة الفرائض

بالنوافل، ففي الحديث القدسي: « **وما تقرب إليَّ عبدى بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه**» (١)، وإذا أحب الله عبداً نادى جبريل إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، وينادى في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في الأرض، وعلى العكس إذا أبغض الله عبداً، فلا ينبغي فصل الأمور المادية، والمعاني السببية ككيفية الخطابة وهيئة الواعظ... عن معاني الإيمان والتوكل على الله.

ثالثاً: هجر الخطابة والتفريط في الوعظ بزعم خوف الرياء:

الخطبة والوعظ والتذكير طاعات، يُتقرب بها لخالق الأرض والسموات، وهي داخلة ضمن مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشأن هذه الطاعات، كشأن غيرها، لابد فيها من إخلاص ومتابعة ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** (١١٠) ﴾ [الكهف: ١١٠] فلو كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، ولو كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل حتى يكون خالصاً وصواباً، والخالص ماكان ابتغاء وجه الله، والصواب ما وفق سنة رسول الله ﷺ، والكل مطالب بإخلاص العمل لله تعالى ومجاهدة النفس في ذلك، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** (٥) ﴾ [البينة: ٥]، وفي الحديث القدسي: « **أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيرى تركته وشركه**» (٢)، وقال ﷺ: « **إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال: « **الرياء**»، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم: « **اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظرو هل تجدون عندهم الجزاء** » (٣).

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه أحمد وابن حبان وصححه الألبانى .

والإخلاص عزيز، وهو يتطلب مجاهدة للنفس، وقد كان ابن عمر ﵄ يقول: «لو أعلم أن الله تقبَّلَ مِنِّي سجدة لكان فرحي بالموت أشد من فرح الأهل بقدوم الغائب»، وذلك لقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة: ٢٧].

وقد روى البخاري عن ابن أبي مُلَيْكَة قال: أدركت ثلاثين من صحابة رسول الله ﷺ كلهم يخاف على نفسه النفاق، ما منهم من أحد يقول: إن إيمانه مثل إيمان جبرائيل وميكائيل، والنفاق ما أمنه إلا منافق، وما خافه إلا مؤمن، فلابد من تخوف الرياء على النفس، ولكن ليس السبيل في ترك الخطبة والوعظ والتذكير وإنما هو في المحافظة على هذه الطاعات مع مجاهدة النفس في إخلاص العمل لله، وتنقيته من شوائب النفس وحظوظها، بحيث يكون الدافع هو ابتغاء مرضات الله، لا استجلاب مدح الناس، أو دفع مذمتهم، وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول: «العمل من أجل الناس شرك، وترك العمل من أجل الناس رياء، والإخلاص أن يعافيك الله منهما».

وقال البعض: من ترك العمل خوفاً من الإخلاص، فقد ترك الإخلاص والعمل.

ولك في سيد المخلصين، ومن تابعه بإحسان إلى يوم الدين أسوة حسنة وقدوة طيبة، فهل ترك هؤلاء الخطب والدروس وسائر صور الدعوة لمخافتهم الرياء ؟!، ولك أن تتخيل لو اجتمع الناس على التفريط في الدعوة إلى الله بزعم الخوف من الرياء، فماذا يكون الحال والشأن إلا غلبة الشر والفساد وهلاك البلاد والعباد، فأخلص عملك، واستمر في دعوتك.

رابعاً: رهبة المواجهة والامتناع بسبب ذلك:

يمتنع البعض عن الخطب والوعظ والتذكير بسبب خوفه ورهبته من مواجهة الناس، وخصوصاً وهو يرى الناس قد شخصوا بأبصارهم إلى الخطيب وامتلأ بهم المسجد في يوم الجمعة وغيره، وفيهم الكبير والصغير والرجل والمرأة والعالم والجاهل، وقد تكون الرهبة بسبب تمرس الناس في الباطل، وطلاقة لسانهم... أو لغير ذلك من

الأسباب وعلاج هذه الرهبة أن يلجأ المتكلم إلى الله بكثرة الدعاء والاستغفار وقول لا حول ولا قوة إلا بالله، ويحرص على قوله: « **اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك**» اللهم أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين، ولا تكلنى إلى أحد من خلقك، ويتذكر وقوفه بين يدى الله، فإذا تمكنت معاني الرهبة من الله من نفسه، خفت رهبته من الناس ويستحضر حاجة الناس إلى الوعظ والتذكير، وكثرة الأوامر الشرعية التي تستحثه على أن يقوم هذا المقام مثل قوله تعالى: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)** ﴾

[آل عمران: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)** ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: « **بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم من الله تعالى فيه برهان، وعلى أن نقول الحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم**» [١].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « **مثلُ القائم في حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعاً**» [٢]، ومعنى القائم في حدود الله

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه البخارى .

أى المُنكر لما نهى الله عنه، والقائم في دفع المنكرات وإزالتها، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسُنّته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلُفُ من بعدهم خُلُوفٌ، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يُؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبةُ خردل** »(١).

ولا بأس بالأخذ بالأسباب والتدريب، حتى تخف رهبة المواجهة مع الناس، وبمقدورك أن تقرأ الموضوع الذي تريد الحديث فيه من الكتاب بصوت مرتفع، ثم تحاول ارتجاله فيما بينك وبين نفسك، ثم تنقله للقريبين منك من الأهل والأصدقاء، ومن المفيد أن تنتقل إلى مسجد صغير قريب منك، وتقرأ على الناس بعض المعاني الموجودة في الكتاب، ثم تنتقل خطوة أخرى فتنقل البعض وترتجل البعض الآخر - بعد الاستيعاب الجيد للموضوع - ثم ارتجال الكلمة كلها بعد ذلك، ومن الممكن الصعود على منبر المسجد، وإعداد الكلمة، وإلقائها على إخوانك، وتكرار الأمر وستجد بإذن الله تيسيراً، وشيئاً فشيئاً، ومع الحرص على القيام بالأمر، والاستعانة بخالق الأرض والسموات، ستخف هذه الرهبة.

خامساً: هل لابد من تخصص وشهادة علمية شرعية للقيام بذلك ؟:

اتفقت الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذهب الجمهور إلى أنه فرض على الكفاية، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين، فإذا لم يقم البعض بذلك أثم القادرون عليه، وذهب الشاطبى إلى أن الكل يأثم بشيء من التجوز، وذلك لأن غير القادرين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عنده مقدرة من نوع آخر، وهي إقامة القادر في هذا الفرض، ومعنى قيام الفرض أى حصول المأمور به في عالم الواقع، بحيث يصبح المعروف معروفاً والمنكر منكراً، ومن هنا تدرك لماذا قال الإمام النووى

(١) رواه مسلم .

- رحمه الله - عن هذا الفرض أنه ضُيِّع عبر أزمان متطاولة، بحيث لم يبق إلا رسمه، وهذا على زمنه هو، فكيف بزماننا نحن؟!.

فالواجب على الأمة أن تنهض لإقامة هذ الواجب، وإعداد الكفاءات والتخصصات اللازمة لذلك، فإذا تخلف البعض عن دوره ومهمته، فإن هذا لا يعفي الآخرين عن القيام لله بحقه نصحاً وبياناً ليحيى من حيّ عن بينة، ويهلك من هلك أيضاً عن بينة.

ودائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تسع عموم الأمة، ويجب الأمر على من رأى المنكر وعنده المقدرة على تغييره، ولم يقم أحد بذلك، فحينئذ يلزمه الإنكار لقوله ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» (١).

ومن عَلِمَ مسألة فهو بها عالم، ولا يشترط تحصيل أدوات الاجتهاد والنظر المباشر في الكتاب والسُّنة، إذ يكتفي العلم بما سيأمر به وينهى عنه، بل العالم إذا جهل مسألة فليس له أن يتكلم فيها، فاتضح بذلك أن الأمر مداره على العلم، والعلم يتجزأ، وقد كان الناس عبر عصورهم المتطاولة يخطبون ويعظون ويذكرون، دون تحصيل شهادات علمية أو تخصصات شرعية، فالمطلوب هو العلم والإتقان وإلاَّ لَحَرُمَ الأمر، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** (٣٣)﴾ [الأعراف: ٣٣].

سادساً: لا يشترط كمال الحال فى الخطيب والواعظ:

العدالة ليست شرطاً في الآمر النَّاهي، ولذلك قالوا: حقاً على شاربي الكئوس أن يتناصحا، وإذا لم يتناصحا فالذنب ذنبان، والإثم إثمان، إثم شرب الخمر، وإثم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما من إنسان إلا وتجوز عليه المعصية، وكل ابن آدم خطَّاء وخير الخطائين التوابون، أما الأنبياء فهم معصومون فيما يبلغونه عن الله جل وعلا.

---

(١) رواه مسلم.

وهذا لا يمنع من مجاهدة النفس حتى يتوافق القول مع الفعل، والعلم حتى تكون الدعوة أوقع في النفوس، إذ الدعوة بالسلوك أبلغ من الدعوة بالقول، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾ [هود: ٨٨]، وقال: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقال: ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف: ٢، ٣]، والذَّمُّ في هذه الآيات إنما يلحق من تعدَّى حدود الله، ولم يعمل بعلمه، وليس فيها ذمٌّ لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فالإنسان يجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهذا مطلب، والمطلب الثانى يجب عليه أن يمتثل وأن يعمل بعلمه، فإذا تخلف عن مطلب من هذين المطلبين، فليس له أن يتخلَّف عن المطلب الثانى، فيكون قد جرَّ تفريطاً إلى تفريط.

وبالتالى فالبعض الذي يفرِّط في الدعوة إلى الله لكونه يقترف بعض المعاصى والذنوب، أو يفرط في بعض الواجبات والسُّنن، يقال له: عليك بالدعوة إلى الله، والمسارعة بالتوبة والإستجابة لأمر الله، وقد كان أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: أخاف أن يقال لى يوم القيامة: يا عويمر هل علمت ؟ فأقول: نعم، فيقال: ماذا عملت فيما علمت.

وقالوا: العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل.

وقال أبو الدرداء: ويل لمن لا يعلم ولا يعمل مرة، وويلٌ لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات، وقالوا: إن الذي يعِظُ الناسَ وينسى نفسه كالمصباح يحرق نفسه ويضيء لغيره.

وقال ابن مسعود: « كونوا للعلم وعاة ولا تكونوا له رواة »، وقال معاذ: « اعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا ».

وقال سفيان الثورى: « كان العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شُغِلوا، فإذا شُغِلوا فُقِدوا، فإذا فُقِدوا طُلِبوا، فإذا طُلِبوا هربوا ».

وقال مالك بن دينار: « إن العالم إذا لم يعمل زلَّت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا »[1].

---

(١) أى كما لا يستقر المطر على السطح الأملس .

سابعاً: الامتناع خوف الفتنة قد يكون هو الفتنة:

يمتنع البعض عن هداية الخلق ودلالتهم على طريق الله بزعم خوف الفتنة، وقد تكون هذه هي فتنة كما قال تعالى: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة: ٤٩]، قيل نزلت بشأن الجد بن قيس، لما دعاه النبي ﷺ لقتال الروم، فاعتذر بأنه لا أحد أشد فتنة بالنساء منه، وقال: ﴿**أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ**﴾، فقد تخلف عن الأمر الواجب الذي دعاه إليه رسول الله ﷺ لأمر مظنون كان بوسعه أن يتقيه، وبالتالي فالتعلل قد لا يصلح عذراً لصاحبه في التخلف عن واجب الدعوة إلى الله، وإحجام الأمة عن الإنكار مظنة حصول الهلاك وحلول الأذى الحقيقي لا المتَوَهَّم، فعن أم سلمة ﵂ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنه يُستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كَره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلِمَ، ولكن من رَضَى وتابع**»، قالوا: يارسول الله ألا نقاتلهم ؟ قال: «**لا ما أقاموا فيكم الصلاة**»[١].

قال النووي معناه: من كره بقلبه ولم يستطع إنكاراً بيد ولا لسان فقد برئ من الإثم، وأدى وظيفته، ومن أنكر بحسب طاقته فقد سلم من هذه المعصية، ومن رضي بفعلهم وتابعهم فهو العاصي. اهـ.

وعن زينب بنت جحش ﵂ أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً، يقول: «**لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍ قد اقترب، فُتِحَ اليومِ من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**» وحلّق بأصبعيه الإبهام والتي تليها، فقلت يا رسول الله: أَنَهْلَكُ وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذ كَثُرَ الخبث**»[٢]، وهذا فيه الحث على إنكار المعاصي ومنع وقوعها، كما أن فيه بيان شؤم المعاصي، وإن المصائب تعُمُّ الناس جميعاً صالحين وفاسدين ولكنهم يُبعثون على نياتهم، وإن الهلاك العام يحصل بسبب كثرة المعاصي وانتشارها

(١) رواه مسلم .
(٢) متفق عليه .

وإن كثر الصالحون، ﴿ واتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥] فالتخلف عن أمر الله وعن الدعوة إلى الله فهو الهلكة المحققة في الدنيا والآخرة. أما إذا غلب على الظنّ حصول الأذى، وتمهدت أسباب الخوف فحينئذ يستحب الأمر ولا تجب، ففي الحديث: «**سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**» [١]، وعلى العبد أن يصبر ويحتسب حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً، قال تعالى: ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝ ﴾ [المدثر: ٧] وقال لقمان لابنه: ﴿ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝ ﴾ [لقمان: ١٧] وقال: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝ ﴾ [المزمل: ١٠]، وفي الحديث وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا [٢].

ثامناً: عليكم أنفسكم ليس معناها ترك الوعظ والتذكير:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة: ٣٨]، قال القرطبي: « وظاهر هذه الآية يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس القيام به بواجب إذا استقام الإنسان، وأنه لا يؤخذ أحد بذنب غيره، لولا ما ورد من تفسيرها في السنة وأقاويل الصحابة والتابعين. اهـ.

فمعنى ﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ أن احفظوا أنفسكم من المعاصي، وقال سعيد بن المسيب معنى الآية ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال ابن خويز منداد: تضمنت الآية اشتغال الإنسان بخاصة نفسه، وتركه التعرض لمعائب الناس، والبحث عن أحوالهم، فإنهم لا يُسألون عن حاله، فلا يُسأل عن حالهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ ﴾ [المدثر: ٣٨]، ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

---

(١) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وصححه الألباني.

(٢) أخرجه أحمد.

عن قيس قال: « خطبنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: إنكم تقرءون هذه الآية وتتأولونها على غير تأويلها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده» (١).

وفي حديث أبي ثعلبة الخُشَني: «**بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى مُتبعاً، ودنياً مُؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة**» (٢).

وعن ابن مسعود أنه قال: ليس هذا بزمان هذه الآية، قولوا الحق ما قُبل منكم، فإن رُدَّ عليكم فعليكم أنفسكم، وقيل لابن عمر في بعض أوقات الفتن: لو تركت القول في هذه الآية فلم تأمر ولم تنه؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال لنا: ليبلغ الشاهد الغائب، ونحن شهدنا فيلزمنا أن نبلغكم، وسيأتي زمان إذا قيل فيه الحق لم يقبل، وفي رواية لابن عمر: ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا إن قالوا لم يقبل منهم.

وقال ابن المبارك: قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ خطاب لجميع المؤمنين، أي عليكم أهل دينكم كقوله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] فكأنه قال: ليأمر بعضكم بعضاً، ولينّه بعضكم بعضاً، لهو دليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يضركم ضلال المشركين والمنافقين وأهل الكتاب، وهذا لأن الأمر بالمعروف يجرى مع المسلمين من أهل العصيان كما ورد عن سعيد بن جبير.

ويجوز أن يكون أريد به الزمان الذي يتعذر فيه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيُنْكِر بقلبه، ويشغل بإصلاح نفسه.

ولا زالت بقية من خير وصلاح وقبول للدعوة، فلا يصح ترك الوعظ بالكلية، تعميماً لبعض النصوص وتطبيقاً لها في غير موضعها، فالأمر يتفاوت زماناً ومكاناً وشخصاً.

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه أبو داود والترمذي.

وفي حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لتأمُرُنَّ بالمعروف ولَتَنْهَوُنَّ عن المنكر أو ليُوشِكَنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم»[١].

ولما سُئل رسول الله ﷺ: «أيُّ الجهاد أفضل؟ قال: كلمةُ حقٍّ عند سلطان جائر»[٢].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أوَّلَ ما دخل النقصُ على بني اسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول: يا هذا اتقِ الله ودعْ ما تصنع، فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ثم قال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة: ٧٨ – ٨١].

ثم قال: «كلاَّ والله لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذون على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا ولتقصّرنّه على الحق قصراً، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم ليلعنكم كما لعنهم»[٣].

تاسعاً: احتياج الخطيب والواعظ إلى فقه وبصيرة حتى يصلح ولا يفسد:[٤]

شرع الله مصلحة كله، وحيثما كانت المصلحة المعتبرة فثمَّ شرع الله، كما قرر ابن القيم وغيره من العلماء، وتحقيق المصلحة من وراء الوعظ والتذكير يتطلب مراعاة

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

(٢) رواه النسائي بإسناد صحيح.

(٣) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن واللفظ لأبي داود.

(٤) راجع كتابنا «تحصيل الزاد لتحقيق الجهاد».

للسنن الشرعية والكونية، وإلا فالإنكار كما يجب وقد يُستحب في مواطن قد يحرم في مواطن أخرى، كما لو كان الإنكار سيستجلب منكراً أعظم، أو سيثبت هذا المنكر ويأتي بمنكر آخر، أو سيتلف نفسه في غير مصلحة شرعية أو سيجر المضرة والأذى البالغ لمن حوله.

قال القاضي عياض: «إن غلب على ظنه أن تغييره بيده يسبب منكراً أشد من قتله أو قتل غيره بسبب كف يده واقتصر على القول باللسان والوعظ والتخويف، فإن خاف أن يسبب قوله ذلك غيّر بقلبه وكان في سعة» (١).

وقال المناوي: « فإن لم يستطع الإنكار بيده بأن ظن لحوق ضرر به فبلسانه أي بالقول كاستغاثة أو توبيخ أو إغلاظ بشرطه، فإن لم يستطع ذلك لوجود مانع كخوف فتنة أو خوف على نفس أو عضو فبقلبه» . اهـ.

وعلى الإنسان أن يقوم بمهمته حتى وإن تعرض للوم أو غيبة فاسق أو شتمه أو تعنيفه أو سقوط المنزلة من قلبه أو قلب أمثاله، قال تعالى: ﴿**يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ**﴾ [المائدة: ٥٤].

والدعوة إلى الله لا تخلوا أبداً من مثل هذا، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ (٣٢)**﴾ [المطففين: ٢٩ - ٣٢]، قال القرطبي: « أجمع المسلمون فيما ذكر ابن عبد البر أن المنكر واجب تغييره على كل من قَدَرَ عليه وأنه إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللومَ الذي لا يتعدى إلى الأذى، فإن ذلك لا ينبغي أن يمنعه من تغييره» (٢).

وقال الغزالي: «فلو تُركَتْ الحسبةُ بلوم الإثم أو اغتياب فاسق أو شتمه أو تعنيفه أو سقوط المنزلة عن قلبه أو قلب أمثاله لم يكن للحسبة وجود أصلاً، إذ لا تنفك الحسبة عنه» (٣).

---

(١) شرح صحيح مسلم .
(٢) الجامع لأحكام القرآن (جـ ٤ ، ص ٤٨) .
(٣) إحياء علوم الدين (جـ٢ ، ص ٢٨٤) .

وقال أيضاً: « فإذا كان يتعدى الأذى من حسبته إلى أقاربه وجيرانه فليتركها فإن إيذاء المسلمين محذور، كما أن السكوت على المنكر محذور، نعم إن كان لا ينالهم أذى في مالٍ أو نفسٍ ولكن ينالهم الأذى بالشتم والسب فهذا فيه نظر ويختلف الأمر فيه بدرجات المنكرات في تفاحشها ودرجات الكلام المحذور في نكايته في القلب وقدْحِه في العِرض» [(١)].

وروى ابن القيم عن ابن تيمية أنه قال: «مررت أنا وبعض أصحابى في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معى، فأنكرت عليه، وقلت: إنما حرم الله الخمر لأنها تَصُدُّ عن ذكر الله والصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس، وسبى الذرية، وأخذ الأموال منهم».

وكذلك ليس من المصلحة ولا الشجاعة ذِكر الحكام والحكومات والأحزاب والهيئات على المنابر مثلاً مع غلبة الظن أو تحقق التلف وإيقاف الدعوات واستلحاق المضرة بالأبرياء، فعلى الخطيب والواعظ أن يراعي مقتضى الحال، والتعريض قد يُغني عن التصريح[(٢)]، وبيان الأحكام قد يكفي ولا يُحتاج معه إلى ذِكر الأشخاص وتعيين الجهات. وبالجملة يتأكد الحرص على تحقيق المصلحة ودفع المضرة والمفسدة وفق الموازين الشرعية، فإذا كانت المصلحة أعظم من المفسدة وجب الأمر والنهي، وإذا كانت المفسدة أعظم من المصلحة حرم عليه الإقدام، وإذا تساوت المصلحة والمفسدة ترجح الترك إذ درء المفاسد أولى من جلب المنافع، فإذا اختلط عليك الأمر فرُدُّه إلى عالمه ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾ [النساء: ٨٣]، ويسعك أن تأمر بالمعروف أمراً مطلقاً، وتنهى عن المنكر نهياً مطلقاً، إذا اختلط المعروف بالمنكر على نحو لا يصطدم بما ذكرناه.

---

(١) إحياء علوم الدين (جـ ٤ ، ص ٣٥٠).

(٢) كان النبي ﷺ يقول: «مابال أقوام يفعلون كذا ، مابال أقوام يقولون كذا »، فالتعريض قد تتحقق به المصلحة، ويصل به الحق إلى الخلق.

عاشراً: ما كل موضوع أو حديث صحيح تحدث به العامة:

قال القاسمي في كتابه قواعد التحديث ما نصه:

« **الثمرة التاسعة**: ما كل حديث صحيح تحدثُ به العامة، والدليل على ذلك ما رواه الشيخان عن معاذ رضي الله عنه قال: كنت رِدْفَ النبي ﷺ على حمار، فقال: «**يا معاذ هل تدرى ما حقُّ الله على عباده، وما حقُّ العباد على الله؟**» قلتُ: الله ورسوله أعلم قال: «**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحقُّ العباد على الله أن لا يُعذِّب من لا يُشرك به شيئاً** » قلتُ: يارسول الله، أفلا أُبَشِّر به الناس؟، قال: «**لا تُبشرهم فيتكلوا !** ».

وفي رواية لهما عن أنس أن النبي ﷺ قال لمعاذ وهو رِدفه: «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صِدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار** »، قال يارسول الله: أفلا أُخبر به الناس فيستبشروا ؟، قال: «**إذاً يتكلوا** » ؛ فأخبر بها معاذٌ عند موته تأثُّماً.

وروى البخارى عن عليّ رضي الله عنه: « حَدِّثُوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله؟ »، ومثله قول ابن مسعود: «ما أنت محدِّثٌ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة» (١).

قال الحافظ ابن حجر: « ومِمَّن كره التحديث ببعض دون بعض، أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على الأمير، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب ؛ ومن قبلهم أبو هريرة كما روى عنه في الجِرَابَيْنَ (٢) وأن المراد ما يقع من الفتن ؛ ونحوه عن حذيفة وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة

---

(١) رواه مسلم .

(٢) فى مسند أحمد أن أبا هريرة قال : «حفظت ثلاثة أجربة ، بثثت منها جرابين » . وفى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة أنه قال : «حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين، فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم » .

العرنيين(١) ، لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمده من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي؛ وضابطُ ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوّى البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يُخْشَى عليه الأخذ بظاهره مطلوب » انتهى.

ولما كان النهي للمصلحة لا للتحريم، أخبر به معاذ لعموم الآية بالتبليغ.

قال بعضهم: النهي في قوله ﷺ: «**لا تُبَشِّرْهُم** » مخصوص ببعض الناس وبه احتجّ البخارى على أن للعالم أن يخصّ بالعلم قوماً دون قوم، كراهةً أن لا يفهموا، وقد يتخذ أمثال هذه الأحاديث البطلة (٢) والمباحية (٣) ذريعة إلى ترك التكاليف ورفع الأحكام، وذلك يُفْضِي إلى خراب الدنيا بعد خراب العقبى، وأين هؤلاء ممن إذا بُشِّروا زادوا جداً في العبادة ؟ وقد قيل للنبي ﷺ: أتقوم الليل وقد غفر الله لك ؟ فقال ﷺ: «**أفلا أكون عبداً شكوراً** » (٤).

الحادية عشر: تأخير البيان إلى وقت الحاجة يجوز، أما تأخير البيان عن وقت الحاجة فلا يجوز:

الحديث السابق عن ضوابط المصلحة والمفسدة، وعدم تحديث العامة بكل حديث صحيح، يجرنا إلى مسألة هامة ترتبط بهذا الحديث - تحقيقاً للمصلحة ودفعاً للمفسدة - وهي مسألة تأخير البيان فقد يتحرج البعض من كتمان العلم فيندفع في ذكر ما يترتب عليه شر وفساد غالب، ومثل هذا يظل يتعلل بسلامة نيته، وطيب مقصده، والواجب علينا مراعاة السُّنن وأن ندور معها حيث دارت بحيث لا نصادم بعضَها بالبعض الآخر.

---

(١) **العرنيون**:نفر قدموا على النبى ﷺ فأسلموا ، فاجتوو المدينة ، فأمرهم أن يأتوا إبل الصدقة ، فيشربوا من ألبانها، وأبوالها ففعلوا ، فصحوا ، فارتدوا وقتلوا رعاتها ، واستقوا الإبل ، فبعث فى آثارهم فأتى بهم فقطّع أيديهم وأرجلهم ، وسمّل أعينهم ، ثم لم يحسمهم حتى ماتوا . والحديث فى الصحيحين وغيرهما . « راجع فتح البارى (ج ١٢ ، ص ٩٨) .

(٢) **يقال أبطل** :إذا جاء الباطل : والبطلة : السحرة والشياطين ، وفى مسندا لإمام أحمد من حديث أبى أمامة : « إقرؤا البقرة ، فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة » وأخرجه مسلم فى الصلاة .

(٣) كذا فى الأصل ولعلها الإباحية .

(٤) أخرجه الشيخان والترمذى والنسائى من حديث المغيرة بن شعبة .

فقد كان النبي ﷺ يأتيه الرجل يسأله عن الإسلام فيقطع خطبته، ويعلمه ما سأل عنه ولا يؤخر البيان عن وقت الحاجة، فإذا اتسع الأمر فلا بأس بتأخير البيان، وحديث معاذ رضي الله عنه شاهد على ذلك وفيه: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حَرَّمَهُ الله على النار»، قال معاذ: يا رسول الله أفلا أُخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: «إذاً يتكلوا» فأخبر بها معاذ عند موته تأثماً(١).

وهذا الحديث دليل واضح على جواز تأخير البيان إلى وقت الحاجة، أما تأخيره عن وقت الحاجة فلا يجوز.

الثانية عشر: انتقاص الخطباء والخطبة الوعظية:

من صور السفه والفجور انتقاص الخطباء والفقهاء، والحطُّ من شأنهم عند الملاحدة والزنادقة، ومن تابعهم وجاراهم من جهال المسلمين، ويكفي الخطباء شرفاً قيامهم مقام رسول الله ﷺ والخلفاء من بعده، وسأورد بإذن الله تعالى في نهاية الكتاب نماذج من خطب رسول الله ﷺ والصحابة من بعده، فوجب الحذر من عبارات التنقص التي تنسحب على خير البشرية من جهة، ومن جهة أخرى قد تصيب البعض منا بهزيمة نفسية تجعله يمتنع عن الخطب والوعظ والتذكير، أو أن ينظر بعين الإزدراء والإحتقار لمن يصنع ذلك، وأيضاً ينبغي التحذير لمن يردد عبارات الخطب الوعظية على سبيل الاستهجان والاستخفاف، وهل آيات الله وأحاديث رسول الله ﷺ، والخطب المأثورة، تخلو من هذا الوعظ؟! وهل المطلوب من الواعظ والخطيب أن يذكر الأحكام دون ترغيب وترهيب، ودون وعد ووعيد، ولا يتكلم بذكر الجنة والنار؟! أو أن المطلوب منه أن يتقعر في الكلام ويتشدق فيه ويتكلف كلاماً لا يفهمه السامعون، حتى يُنسب إلى أنه تنويرى أو من أصحاب الفكر الحر المستنير؟! فاللهم ارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، راجعوا القرآن من أوَّله إلى آخره، حتى نتعرف على الأسلوب الصحيح في الدعوة إلى الله، وكيف خلط الرَّغبة بالرهبة، والإلحاف بالمسألة

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

وبثت الأحكام الشرعية في ثنايا ذلك، كما ينبغي أن نتعرف على طريقة الأنبياء والمرسلين في الدعوة إلى الله، فما من نبي إلا وبُعث بلسان قومه ليبين لهم، وأخشى أن يتشبه البعض منا بالملاحدة الشيوعية وببعض المفكرين في إيراد عبارات ومصطلحات، لا يفهمها أحد على سبيل الفذلكة وإظهار البراعة وسط أمة أمية.

الثالثة عشر: هل للخطبة قيمة في مواجهة كم الفساد الهائل:

سنن الهدم أسرع من سنن البناء، فالبناية الفخمة قد تهدم في لحظات، ولكى تعاد مرة ثانية تحتاج إلى سنوات، وكذلك الأمر بالنسبة للأفراد، ومعظم النار من مستصغر الشرر ولذلك ينبغى ألا يُستهان بشيء من الشر والفساد، ويجب التحسب لمواطن الردى وأسباب الهلاك لقوله تعالى: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]، ولحديث حذيفة رضي الله عنه **«كانت الناس تسأل رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»**[١]، من باب:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

وكان عمر رضي الله عنه يقول: يُهدم الإسلام إذا نشأ فيه من لا يعرف الجاهلية، وقال أيضاً: لست بالخب ولا الخب يخدعنى، أى ليس هو بالمخادع ثم الماكر المخادع لا تروج حيلته على عمر رضي الله عنه وقد كان عنده نور وفراسة.

ونحن لو نظرنا اليوم لوجدنا أن الأعداء قد أطلقوا على هذه الأمة سهوماً كثيرة، كالاشتراكية والديمقراطية، وحاولوا الدخول من كل الأبواب، وسلكوا كل المسالك للفتك بهذه الأمة وإضاعة دينها، ولم يعدموا وجود بعض الأذناب ممن صاروا كالأبواق التي تردد ما يقوله الملاحدة والزنادقة، مما جعلهم حرباً على إسلامهم ودينهم، وصار الإسلام بين كيد أعدائه في الخارج والداخل، وعجز أبنائه، واستحكم طَوْق الغربة حول رقاب المسلمين، فالواحد يبني في مواجهة ألف يهدمون، ومن يهدم يمتلك

---

(١) رواه البخارى .

أسباب مادية هائلة وتسخر له أجهزة الإعلام والتعليم... ولذلك فالمواجهة غير متكافئة مادياً مما جعل البعض ييأس ويلزم بيته، وفريق آخر لجأ إلى العنف وحمل السلاح... لأنه لا سبيل للإصلاح عنده، ولأن الكلمة ستولد ميتة - إن وُلِدَتْ -.

ولهؤلاء وغيرهم نقول: لا حِجْرَ على سَعَة رحمة الله، فكم من بلد فُتحت بالقرآن كالمدينة، وكم من بلد فُتحت بالسيف والسنان، والكلمة قد تكون أقوى من قذيفة، وأنت لا تُكلف إلا نفسك، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فالواجبات تسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة، والنتائج ليست لك ﴿**إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ**﴾ [الشورى: ٤٨]، فالتمكين فضل من الله يؤتيه من يشاء ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾ [النور: ٥٥]، ولا ننسى أن المؤمن مؤيد وموفق وعمله مسدد مبارك بإذن الله ﴿**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٢٤٩]، شريطة أن يستقيم على أمر الله ولا يتعدى حدود الله وأن يعلم أن الغاية لا تبرر الوسيلة، وبالتالي فلا يصح التعجل ومخالفة السُّنن، فأجرك محفوظ وثوابك غير منقوص طالما أخذت بالأسباب وتوكلت على خالق الأرض والسموات. وفي الحديث «**والله لَيُتمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**»(١).

فأبشر الخير واعلم أن المستقبل للإسلام، وهذا ليس بالحتم واللزوم يتم على يديك فقد يتم على يدى غيرك فالأمر لله من قبل ومن بعد، ومن عجائب التدبير، أن الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وأقوام لا خلاق لهم،كما ورد في الحديث «**إن الله ليأرز هذا الدين بالرجل الفاجر**»، وفي رواية يؤيد هذا الدين ومناسبة ذلك أن قزمان خرج مع أصحاب رسول الله ﷺ يوم أُحد وهو مشركٌ فَقَتَلَ ثلاثة من المشركين، وقد

---

(١) رواه البخارى .

كـان المشركـون أحد أسبـاب نَشْرِ دعوة الرسول ﷺ في بدايتـهـا، عندمـا وقفـوا على مشارف الطرق وقابلوا الوفود للتحذير من دعوته فانتشر خبرها، وكـذلك الأمر بالنسبة للخطبة وكلمة الوعظ التي يستهين بها البعض قد تصنع الأعاجيب بإذن الله، فأخلص عملك ولا تُحقِّرَنَّ من المعروف شيئاً وقل بلسان حالك قبل مقالك: لا حول ولا قوة إلا بالله.

الرابعة عشرة: ترك الخطبة بسبب الورع الكاذب وحكم صلاة الجمعة بلا خطبة اكتفاء بالمذياع.

ذهب جمهور أهل العلم إلى وجوب خطبة الجمعة، واستدلوا على الوجب بما ثبت عنه ﷺ ثبوتاً مستمراً أنه كان يخطب في كل جمعة، واستدلوا أيضاً بقوله ﷺ: «**صلوا كمـا رأيتـمـونى أُصلى**»، وقـوله الله عـز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [الجمعة: ٩]، وهذا أمر بالسعى إلى الذكر فيكون واجباً لأنه لا يجب السعي لغير الواجب، وفسروا الذكـر بالخطبة لاشتمـالها عليه، وإلى هذا ذهب الشافعي وأبو حنيفة ومالك، ونسبه القاضى عياض إلى عامة العلماء، ورجحه أبو الطيب في عون المعبود والألبانى في تمام المنة وذهب البعض إلى استحبابها ومنهم ابن حزم، ولكن قوله اضطرب فنقل آثاراً عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود ثم قال: فهؤلاء ثلاثة من الصحابة لا يُعرف لهم من الصحابة ﷺ مخالف كلهم يبطل صلاة من تكلم عامداً في الخطبة، وبه نقول وعليه إعادتها في الوقت لأنه لم يصلها. أ. هـ.

وعلى القول بالوجوب فلا يظهر القول بأن الخطبة شرطٌ من شروط صحة الصلاة لقول النبي ﷺ: «**من أدرك من صلاة الجمعة ركعة فقد أدرك**»[1]، وإدراك الركـعة بإدراك الركـوع، فـهـذا لم يسمـع الخطـبة لسبب أو لآخر، بل ولم يدرك الركعة

---

(١) رواه النسائى وابن ماجه والبيهقى والحاكم وصححه ووافقه الذهبى وقال ابن حجر: إسناده صحيح لكن قوى أبو حاتم إرساله.

الأولى من الصلاة وعلى الرغم من ذلك صحت صلاته، فكيف يُقال باشتراط خطبة الجمعة، ولذلك قال الشوكاني في «السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار» وأما كونها شرطاً من شروط الجمعة فلا » ا هـ.

وقال الصنعانى في سبل السلام: « ثم الأصل عدم الشرط حتى يقوم عليه دليل» اهـ.

فإذا قدم الخطيب الصلاة على الخطبة يوم الجمعة كان آثماً لمخالفته هدي النبي ﷺ، فإذا تُركت الخطبة بالكلية وصلى الناس بلا خطبة اكتفاءً بالمذياع لحقهم الإثم إلا من عذر، فعلى من يتورع عن الخطبة وعنده المقدرة أن يراجع نفسه، وعليه أن يتأهل ويُعد نفسه تحسباً للظروف والمواقف التي قد تطرأ، وليعلم أن امتناعه عن الخطابة قد يمكن ويجرئ بعض المبتدعة أو فاقدى الأهلية من اعتلاء المنابر وإفساد عقائد المسلمين، ولا يشفع له انصرافه إلى بيته ساخطاً على الخطيب، ولو اعترض عليه لثارت الفتن وتولد الشر والفساد في الغالب وكل ذلك سنكون في غنى عنه إذا صعد الأكفاء الذين يرجعون لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، وينهجون منهج أهل السُّنة والجماعة ويدينون دين الحق، وإليك بعض الآداب والأحكام التي تتعلق بخطبة الجمعة، حتى تنهض بهذا الواجب وتكون على بصيرة من أمرك وأمر الناس.

الخامسة عشر: صفة الخطبة وما ينبغي أن تشتمل عليه:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد فهو أجذم**»(١)، وفي الحديث: «**كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء** »(٢).

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «علمنا رسول الله ﷺ التشهد في الصلاة والتشهد في الحاجة]، قال: التشهد في الصلاة... والتشهد في الحاجة « إن الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، فمن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله »

---

(١) رواه أبو داود وأحمد بمعناه ، والأجذم المقطوع الذى لا فائدة فيه .

(٢) رواه أبو داود والترمذى وأحمد ، وقال شهادة بدل تشهد وصححه الألبانى .

ويقرأ ثلاث آيات. قال عبثر: ففسره لنا سفيان الثوري ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]، و ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء: ١] و ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا** ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠].

وكان ﷺ يقتصر أحياناً على الشهادة دون آيات التقوى، وكان أحياناً يزيد ما جاء في حديث جابر بن عبد الله: «... **أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة**» زاد النسائي «**وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»(١).

وروى أبو داود عن ابن مسعود، أنه كان يقول: أرسله بالحق بشيراً بين يدي الساعة، من يطع الله تعالى ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله تعالى شيئاً، ذلك بعد قوله: وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وروى أبو داود عن ابن شهاب أنه سئل عن تشهد النبي ﷺ يوم الجمعة فذكر نحوه وقال: من يعصهما فقد غوى.

وعن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يخطب قائماً ويجلس بين الخطبتين، ويقرأ آيات ويُذكِّر الناس(٢).

وعنه أيضاً: أن النبي ﷺ كان لا يطيل الموعظة يوم الجمعة إنما هى كلمات يسيرات(٣)، وعن أم هشام الأنصارية قالت: « ما أخذتُ ﴿**ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ**﴾ إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس»(٤).

وعن يعلى بن أمية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر ﴿**وَنَادَوْا يَا**

---

(١) رواه مسلم وابن ماجه والنسائى .
(٢) رواه الجماعة إلا البخارى والترمذى .
(٣) رواه أبو داود .
(٤) رواه أحمد ومسلم والنسائى وأبو داود .

مَالِكُ﴾ [الزخرف: ٧٧][(١)]، وعن أُبي أن الرسول ﷺ قرأ يوم الجمعة« تبارك » وهو قائم يُذَكِّر بأيام الله [(٢)]، ومع وجود الحمد وقراءة القرآن واشتهار الصلاة على النبي ﷺ عند الصحابة إلا أن هذه المعاني ليست شرطاً في صحة الخطبة ولا واجبة فيها، إذ مقصود الخطبة ترغيب الناس وترهيبهم كما قال ابن القيم في جلاء الأفهام، وصديق حسن خان في « الروضة الندية ».

قال ابن القيم في زاد المعاد في خصائص يوم الجمعة: الثانية والعشرون: أن فيه الخطبة التي يُقصد بها الثناء على الله، وتمجيده، والشهادة له بالوحدانية ولرسوله ﷺ بالرسالة وتذكير العباد بأيامه وتحذيرهم من بأسه ونقمته، ووصيتهم بما يقربهم إليه وإلى جنانه، ونهيهم عما يقربهم من سخطه وناره، فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها. اهـ.

ترجمة الخطبة:

وتجوز الخطبة بغير العربية لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ﴾ [إبراهيم: ٤]، وحكى البعض بالإجماع على جواز شرح الشرع للعجم بلسانهم، ولأن الخطبة تذكير فأما القرآن فلا يقرؤه بغير العربية، قال ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم »: فأما القرآن فلا يقرؤه بغير العربية سواء قدر عليها أو لم يقدر عند الجمهور، وهذا هو الصواب الذي لا ريب فيه، بل قد قال غير واحد أنه يمتنع أن يترجم سورة أو مما يقوم به الإعجاز. أ. هـ.

والدين يُوجِبُ على معتنقيه تعلم العربية لأنها لغة القرآن، ولذلك قال ابن تيمية: « واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخُلُقِ والدين تأثيراً قوياً بيناً، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدْرِ هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومشابهتهم تزيد العقلَ والدينَ والخلق، وأيضاً فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرضٌ واجبٌ فإن فِهْمَ الكتاب والسُّنة

(١) متفق عليه .

(٢) رواه ابن ماجه .

فرض، ولا يُفْهَم إلا بفَهْمِ اللغة العربية، وما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب» اهـ.

السادسة عشر: حكم تحية المسجد بالنسبة للخطيب والمستمع:

عن جابر بن عبد الله قال: جاء سليك الغطفانى يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب فجلس فقال له: «**يا سليك قمْ فاركع ركعتين، وتَجَوَّزْ فيهما**»، ثم قال: «**إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب، فليركع ركعتين وليتجوَّز فيهما**»[(١)]، وبوَّب الإمام البخاري في صحيحه: باب من جاء والإمام يخطب صلى ركعتين خفيفتين، وقد ورد ما يدل على إباحة صلاة ذوات الأسباب في أوقات الكراهة، وأن الداخل إلى المسجد لا يجلس حتى يشغل البقعة بالعبادة، وهذا يعمُّ أي وقت حتى لو كان الإمام يخطب يوم الجمعة، وقد أُمر الناس بالاستماع والإنصات، ففي الحديث: «**إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين**» وهو من جملة العام المحفوظ كما بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال النووي في شرح صحيح مسلم: «والمستنبط من هذه الأحاديث أن تحية المسجد لا تترك في أوقات النهي عن الصلاة، وأنها ذات سبب تباح في كل وقت ويلحق بها كل ذوات الأسباب كقضاء الفائتة ونحوها لأنها لو سقطت في حال لكان هذا الحال أولى بها، فإنه مأمور باستماع الخطبة فلما ترك لها استماع الخطبة وقطع النبي ﷺ لها الخطبة وأمره بها بعد أن قعد، وكان هذا الجالس جاهلاً حكمها دلَّ على تأكدها وأنها لا تترك بحال ولا في وقت من الأوقات، والله أعلم. اهـ.

ولا ينبغي للداخل أن ينشغل بالتحية عن الصلاة المكتوبة، فإذا خرج لقضاء حاجة أو نحوه ثم دخل فعليه أن يُعِيدَ صلاةَ تحية المسجد، وتسقط التحية بإدراكِه الفريضة.

وقد ذكر القاسمي وغيره أن الخطيب يصعد مباشرةً على المنبر دون أن يصلِّي تحية المسجد، لفعل رسول الله ﷺ ذلك، فقد كان يخرج من حجرته إلى المنبر والإمام ينتظر

---

(١) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه وأحمد.

ولا يَنتظر، وأن التركَ في موضعه سنَّة، واعترض البعض ذلك بأن عدم النقل ليس نقلاً للعدم، وبحديث «**إذا دَخَلَ أحدُكُم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين**»، وأنه يشمل الخطيب وغيره، والله أعلم، أما حديث «**إذا خرج الإمام فلا صلاة ولا كلام**»، فقد ضعفه أهل العلم، ولا يُتكلف الإجابة عليه، إذ يكفي في ردِّه أنه ضعيف، والتفسير فرع التصحيح.

السابعة عشرة: الحركة والكلام بذكر أو غيره أثناء الخطبة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إذا قُلْتَ لصاحبك يوم الجمعة أنْصتْ والإمام يخطب فقد لَغَوْتَ**» [١]، واللغو هو الساقط الباطل المردود وهو التكلُّم بما لا ينبغي وعلى الرغم من أن كلمة أنصتْ هنا عبارة عن أمر بالمعروف، إلا أنها اعْتُبرَتْ من اللغو، إذ على الإنسان أن يُلْزِمَ نَفسَهُ الاستماع والإنصات، ويترك الإنكار هنا للخطيب، وقد ذهب الجمهور إلى وجوب الإنصات وحرمة الكلام أثناء الخطبة ولو كان أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر سواء كان يسمع الخطبة أم لا، وإلا فلو تُرك لكل أحد أن يتكلم لسبب من الأسباب لضاعت الفائدة من الخطبة، وحكى الترمذي عن أحمد وإسحق الترخيص في رد السلام وتشميت العاطس والإمام يخطب، وقد ورد عن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه قرأ يوم الجمعة تبارك وهو قائم فذكر نا بأيام الله وأبو الدرداء، أو أبو ذر يغمزني فقال: متى أُنزلت هذه السورة إني لم أسمَعْهَا إلا الآن، فأشار إليه أن اسكت فلما انصرفوا قال: سألتك متى أُنزلت هذه السورة فلم تخبرنى فقال أُبي: ليس لك من صلاتك اليوم إلا ما لغوت، فذهب إلى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له وأخبره بالذي قال أُبي، فقال رسول الله ﷺ: «**صدق أُبي**» [٢].

واللغو يُبْطِلُ الأجر ولا يبطل الصلاة، إذ لو بطلت لأمره النبي ﷺ بالإعادة وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، ولو أمره النبي ﷺ بالإعادة لتضافرت هِمَّةُ الأفاضل

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه والنسائى .

(٢) رواه ابن ماجه وقال الهيثمى « إسناده صحيح ورجاله ثقات » ورواه أحمد عن أبى الدرداء .

على نقله، إذ الأمة معصومة من الكتمان، وهذا النهي إنما هو حال الخطبة فإذا سكت الخطيب فلا حرج في الكلام لأحاديث منها قول ثعلبة بن أبي مالك القرظي: «أدركت عمر وعثمان فكان الإمام إذا خرج يوم الجمعة تركنا الصلاة، فإذا تكلّم تَرَكْنا الكلام» (١)، ومعنى تركوا الصلاة: أي التنفل المطلق، لا تحية المسجد إذ لا تعارض بين هذا وبين حديث سُليك الغطفاني.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**من اغتسل ثم أتى الجمعة فصلى ما قُدّر له ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته ثم يصلى معه غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وفضل ثلاثة أيام**» (٢)، ويجوز كلام الخطيب مع المأمومين وكلامهم له، لقصة سُليك الغطفانى وغيرها، وفي حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من بابٍ كان نحو دار القضاء، ورسول الله ﷺ قائمٌ يخطب فاستقبلَ رسولَ الله ﷺ قائماً ثم قال: يا رسول الله هَلَكَتْ الأموال، وانقطعت السبل، فادعُ الله يُغيثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «**اللهم أَغثْنَا، اللهم أَغثْنَا، اللهم أَغثْنَا**»، قال أَنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قَزعة وما بيننا وبين سَلْعٍ من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل التُّرسِ...» (٣)، وساق الحديث.

قال النووى في المجموع: وفي تشميت العاطس ثلاثة أوجه « الصحيح المنصوص» تحريمه كَرَدِّ السلام. اهـ. ولم ترد أنهم كانوا يؤمنون على دعاء رسول الله ﷺ حال الخطبة كما ذكر الألباني، ولا يصح للمأموم أن ينشغل عن الخطيب بمسِّ الحصا أو بالعبث بثوبه، أو بكتابة الخطبة؛ لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وقد دخلت الخطبة في الآية.

فإذا انقطع صوتُ الخطيب لسبب أو لآخر فالمأمومين عليهم أن ينشغلوا بتلاوة

---

(١) إسناده صحيح رواه ابن أبي شيبة وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائي.

القرآن أو ذكر الله أو دعاء أو أمر مباح، وكذلك إذا انقطع صوت الإمام في الصلاة، فالقراءة خير من السكوت كما يقول ابن تيمية.

الثامنة عشرة: قِصَرُ الخطبة والاهتمام بها:

قال أبو وائل: خطبنا عمار فأوجز وأبلغ فلما نزل قلنا: يا أبا اليقظان لقد أبلغت وأوجزت فلو كنت تنفست فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن طول صلاة الرجل، وقصر خطبته مئنة من فقهه فأطيلوا الصلاة، واقصروا الخطبة، وإن من البيان سحراً**»(١)، وخير الهدى هدى رسول الله ﷺ مهما كثرت تبريرات وتأويلات المخالفين للسُّنة، فينبغي أن ندور معه حيث دار طولاً وقصراً. وقد قال ابن القيم في زاد المعاد: «وكان يقصر خطبته أحياناً ويطيلها أحياناً بحسب حاجة الناس، وكانت خطبته العارضة أطول من خطبته الراتبة» اهـ.

وقد حفظت أم هشام الأنصارية سورة (ق) من فِيِّ رسول الله ﷺ لكثرة قراءته بها يوم الجمعة كما مر بنا، ونُقل أن رسول الله ﷺ كان يقرأ أحياناً وهو على المنبر سورة تبارك وقرأ التوبة، فيراعي أحوال السامعين، وعدم استدخال السآمة والملل على نفوسهم ويكون الأصل هو قِصَر الخطبة، وإطالتها إنما يكون استثناء في الأحوال العارضة دون عكس بحيث تتحقق المصلحة وتندفع المضرة والمفسدة.

ويجوز للخطيب إن أراد أن يستدرك معنى أو يستكمل خطبته إن احتاج، أن يفعل ذلك بعد انتهاء الصلاة، فقد كانوا يعقدون مجالس الحديث والإملاء بعد صلاة الجمعة كما جاء في كتاب الجامع لأحكام يوم الجمعة ونقل ما قاله ابن قدامة في المغني: «قال أحمد: إذا كانوا يقرؤن الكتاب يوم الجمعة على الناس بعد الصلاة أعجب إليَّ أن يُسمع إذا كان فتحاً من فتوح المسلمين أو كان فيه شيء من أمور المسلمين فليُستمع، وإن كان شيئاً إنما فيه ذكرهم (أى ذكر الأمراء) فلا يُستمع» اهـ.

---

(١) رواه مسلم وأحمد والدارمى.

وقد ورد النهي عن التحلُّق قبل الصلاة، ففي الحديث: «**نهى رسول الله ﷺ عن الشراء والبيع في المسجد وأن تنشد فيه الأشعار وأن تنشد فيه الضالة وعن الحِلق يوم الجمعة قبل الصلاة**» (١).

قال الطحاوي: « والتحليق المنهى عنه قبل الصلاة إذا عم المسجد وغلبه فهو مكروه وغير ذلك لا بأس به، والتقييد بقبل الصلاة يدل على جوازه بعدها للعلم والذِّكْر « أى مذاكرة العلم وتلاوة القرآن ونحوه، والتقييد بيوم الجمعة يدل على جوازه في غيرها » اهـ.

وينبغى الحذر من التشويش وإحداث الفتنة وإثارة العامة، وإذا أطال الإمام الخطبة، ولا بأس بمراجعة الخطيب فيما بينك وبينه فقد تكون أنت المخطئ وهو المصيب، لتصور البعض أن الخطبة ينبغى أن تقتصر على سورة « ق » أو زمن قراءتها، وعموماً فلو صبرت لكان خيراً لك.

التاسعة عشرة: المعاني التى ينبغي التركيز عليها والاهتمام بها أثناء الخطبة:

قال النووى: يستحب كون الخطبة فصيحة بليغة مرتبة مبينة من غير تمطيط ولا تقصير، ولا تكون ألفاظاً مبتذلة ملفقة فإنها لا تقع في النفوس موقعاً كاملاً، ولا تكون وحشية لأنه لا يحصل مقصودها، بل يختار ألفاظاً جزلة مفهمة. اهـ.

لقد أوتي رسول الله ﷺ جوامع الكلم وفواتحه وخواتمه، وكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً كما ورد في حديث(٢) جابر بن سمرة. وكان يكثر من قراءة سورة «ق» في خطبة الجمعة، ويذكر بتقوى الله ويدعو للمسلمين، وقد أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم، ولا شك أن خطبة الجمعة فرصة عظيمة لإزالة الشبهات وعلاج المشكلات وتوضيح المفاهيم، وخصوصاً ما يتعلق منها بتوحيد الله، وبيان آلائه،

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن خزيمة والترمذي وابن ماجه والنسائي بألفاظ مختلفة .

(٢) رواه الجماعة إلا البخاري ، وأبا دواد ، والقصد بمعنى التوسط والاعتدال .

وفرائضه وأيامه وحلاله وحرامه، ولا ينبغي أن تقتصر الخطب على ذكر الموت ومعاني الرقائق، بل لابد من خلط الرغبة بالرهبة، وعدم إماتة المشاعر أو إصابتها بالتبلُّد بالإكثار من ذكر النار مثلاً، فلا بد من مراعاة مقتضى الحال، وذكر الأحكام الشرعية في ثنايا الوعد والوعيد.

قال ابن القيم في زاد المعاد: « وكذلك كانت خطبته ﷺ إنما هى تقرير لأصول الإيمان من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبته إيماناً وتوحيداً ومعرفة بالله وأيامه، لا كخطب غيره التي إنما تفيد أموراً مشتركة بين الخلائق، وهى النَّوحُ على الحياة والتخويف بالموت فإن هذا أمر لا يُحْصِلُ في القلب إيماناً بالله ولا توحيداً له، ولا معرفة خاصة به ولا تذكيراً بأيامه، ولا بعثاً للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون وتقسم أموالهم ويبلى التراب أجسامهم، فيا ليت شعري أيّ إيمان حصل بهذا؟! وأيُّ توحيدٍ ومعرفةٍ وعلمٍ نافعٍ حَصُلَ به؟!.

ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد وذِكْرِ صفات الرب جل جلاله وأصول الإيمان الكلية والدعوة إلى الله وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه وأيامه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يحببهم إليه فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه ويأمرون من طاعته وشكره، وذكره ما يحببهم إليه فينصرف السامعون، وقد أحبوه وأحبهم. ثم طال العهد وخفي نور النبوة وصارت الشرائع والأوامر رسوماً تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به فجعلوا الرسوم والأوضاع سنناً لا ينبغي الإخلال بها، وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغى الإخلال بها، فرصَّعوا الخطب بالتسجيع وعلم البديع، فنَقَصَ بل عَدَمَ حظُّ القلوب منها وفات المقصود بها. اهـ.

فإن خير الأمور أوسطها، وأفضل المسالك في دعوة الخلق، هو مسلك القرآن،

وليس الفقيه الذي يقنط العباد من رحمته ولا الذي يجرئهم على حدود الله، وإذا خرج الوعظ من القلب نفذ إلى القلب، فإذا قرأ الخطبة من كتاب، فلا بد من مراعاة لكيفية جذب انتباه السامعين، وعليه أن يربط بين المقدمة والخاتمة والموضوع بسلاسة بما لا يرهق الناس، ويتسلسل في عرض الأفكار وترتيبها دون ترقيم لها، مما يحدث إجهاد للعقل وخصوصاً إذا طالت الخطبة، وقد اعتبر قصر الخطبة وطول الصلاة دليلاً على فقه الرجل لأن الفقيه يعرف جوامع الكلم فيكتفي بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى، وعلى الخطيب أن يربط بين الشرع والواقع، ويزيل الشبهات العالقة بأذهان المأمومين في الموضوع الذي يتحدث فيه، فلا يكتفي بنقل الموضوع من بطون الكتب أو معالجة شبهة قديمة، مع إغفال ما استجد من مسائل وشبهات، وليتجنب ما استطاع الألفاظ الغامضة، فقد يترتب عليها ضياع الموضوع عند السامعين أو بتره، وليخاطبهم بالألفاظ المحببة لنفوسهم مثل يا أيها الذين آمنوا، ونحو ذلك، وليعلم أنه يبلِّغ عن الله أَمْرَهُ، وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

العشرون: فائدة تتعلق بالمبتدئين في الخطابة:

مراعاة معنى الخطبة ومبناها مطلوب، فمن العيب مثلاً أن ينصِبَ الخطيبُ الفاعلَ ويرفع المفعولَ، مما يغير المعنى ويشوش على السامعين، ولكن مع حداثة العهد بالخطابة قد يصعب التركيز والجمع بين المعنى والمبنى وخصوصاً مع تطلع الناس بأبصارهم للخطيب وكثرتهم، فلو بدأ الخطيب عبارته الطويلة بحرف نصب فقد ينسى والنسيان يزداد مع حداثة العهد، فعليه أن ينشغل بالمعنى والتركيز عليه والاهتمام به، وعلى المستمع أن يتغاضى عن الهفوات تقديراً منه لطبيعة الموقف، وليتذكر قول عمر رضي الله عنه للرجل: أما شغلك معناها عن مبناها، ثم مع اعتياد الخطابة والتمرس فيها تقوى بإذن الله معاني التذكر، وتخف معاني القلق والاضطراب، ويسهل الجمع بين المعنى والمبنى.

وقد يحدث أحياناً نسيان المعنى الذي نتحدث فيه، فلا بأس ولا حرج في الانتقال إلى معنى أو دليل آخر، ونسيان المعاني يكثر أيضاً مع حداثة العهد بالخطابة للأسباب

التي ذكرناها، فعلى المبتدأ أن يتحسب لذلك بإعداد موضوع كبير والحرص على إتقانه وحفظ سورة « ق » مثلاً ومعرفة كيفية التذكير بتقوى الله والدعاء للمؤمنين، بحيث لو نسي بعض الموضوع تدارك بالبعض الآخر، وينبغي عليه الإكثار من ذكر الله والدعاء وقول لا حول ولا قوة إلا بالله، والحرص على طاعة الله والعمل بما يعلم، فهذا من شأنه أن ييسر كل عسير بإذن الله، وليتعلم سيرة سلفه الصالح في فتح أبواب الحديث وكيفية إغلاقه، وقد قيل عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها ما أرادت فتح باب موضوع إلا وفتحته وما أرادت إغلاق باب إلا وأغلقته.

الحادية والعشرون: حكم الصلاة خلف الخطيب الفاسق:

الصلاة خلف مستور الحال صحيحة باتفاق العلماء، والأحاديث التي فيها «صلوا خلف كل بر وفاجر» غير صحيحة، ولكن العدالة ليست شرطاً في صحة الإمامة، وقد عمل الصحابة فمن بعدهم بمعاني هذه الأحاديث، فكان ابن عمر رضي الله عنهما يصلي خلف الحجاج بن يوسف الثقفي، ولم ينقل عنهم أنهم تركوا الصلاة خلف أئمة الجور، أو أنهم أعادوا الصلاة التي صلوها خلفهم، وهذا لا يتعارض مع محبة السُّنة والحرص على الصلاة خلف من يُظهر السُّنن ولا يتجاهر بارتكاب المعاصي والذنوب، وليس معنى تصحيحنا للصلاة خلف كل بر وفاجر أن نقيم للناس أئمة فسقة، إذ تصرف الحاكم منوط بالمصلحة، ولا مصلحة للأمة في أن يكون خطباؤها وأئمتها على هذا النحو.

والصلاة هي أفضل ما يصنع الناس، كما قال عثمان رضي الله عنه ومن صحت صلاته لنفسه، صحت صلاته لغيره، وترك الجماعة من أجل بدعة الإمام بدعة، كما قال ابن تيمية.

وهذا بالنسبة للبدعة الغير مكفرة، أما لو كانت البدعة مُكفِّرة، كمن يعتقد أن للمخلوق أن يشرع مع الله، أو أنه يجيب المضطر ويكشف الضر... فمثل هذا لا تصح الصلاة خلفه قياساً على من بصق في القبلة فعزله رسول الله ﷺ.

ولابد من تعليم الناس ما جهلوه من دين الله، والرفق بهم، وخصوصاً في أوقات

الغربة والجهالة، وعدم التسرع بتفسيق الناس أو تكفيرهم، والحرص على إزالة شبهاتهم فقد ورثوا الإسلام وجهلوا معانيه، وكان الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ يقول لعلماء وقضاة الجهمية: «أنا لو قلت قولكم لكفرت، ولكن لا أكفركم لأنكم عندي جُهال» اهـ.

وقد عاد الأمر غريباً كما بدأ غريباً، والخلاف شر كله كما قال ابن مسعود رضي الله عنه، فلابد من معرفة الحق ورحمة الخلق وقد صح الخبر: « **يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فعليهم** ».

الثانية والعشرون: الإنكار على الخطيب إذا أخطأ:

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ وقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى، فقال رسول الله ﷺ: «**بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله**»، قال مسلم: قال ابن نمير: فقد غوى»[1]، وسبب إنكاره ﷺ على الخطيب هو قوله: ومن يعصهما، وذلك لأن الضمير يوهم مساواة المشتركين في الحكم، ومقام الخطبة مقام تفصيل وبيان فكان لابد من التوضيح، وقد صح عن النبي ﷺ هذا التشريك في عدة مواضع ومن ذلك ما رواه أبو داود عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال في خطبته: «**من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه**»، وفي حديث أنس رضي الله عنه: «**ومن يعصهما فقد غوى**»، وقد جمع البعض بين الحالين بأن قدم القول على الفعل، وهذا فيه إبطال للنص مع إمكانية الجمع، ومن المعلوم أن إعمال النص أولى من إبطاله، وقيل: إن المتكلم لا يدخل تحت خطاب نفسه إذا وجهه لغيره، وقيل: إذا اندفع التوهم وصارت الفتنة مأمونة، فيجوز أن يقال: ومن يعصهما، وقال النووي: « والصواب أن سبب النهى أن الخطب شأنها البسط والإيضاح واجتناب الإشارات والرموز، ولهذا ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً لتفهم ». اهـ.

---

(١) رواه مسلم وأحمد والنسائي وأبو داود.

الثالثة والعشرون: القيام حال الخطبة ومتى يُشرع له الجلوس:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة قائماً ثم يجلس ثم يقوم كما يفعلون اليوم» (١).

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يخطب قائماً ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائماً فمن قال إنه يخطب جالساً فقد كذب، فقد والله صليت معه أكثر من ألفي صلاة» (٢).

وروى ابن أبي شيبة عن طاووس قال: « خطب رسول الله ﷺ قائماً وأبو بكر وعمر وعثمان، وأول من جلس على المنبر معاوية »، وروى أيضاً عن الشعبى أن معاوية إنما خطب قاعداً لما كثر شحم بطنه ولحمه»، فاتضح بذلك أن السُّنة أن يقوم الخطيب حال الخطبة، ولا يقعد إلا لعذر من مرض أو عجز. عن القيام كما ذكر ابن قدامة وغيره، فإن الصلاة تصح من القاعد والعاجز عن القيام، فالخطبة أولى ﴿**ولا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦] وإن خطب جالساً لعذر فصل بين الخطبتين بسكتة، والجلوس لعذر قد يكون في الخطبة الأولى أو في الثانية أو في كليهما، وقد اختلف جلوس عثمان عن جلوس معاوية رضي الله عنهما لاختلاف الدواعي.

أما الجلوس المسنون بين الخطبتين فهو للفصل بينهما كما استظهره الحافظ ابن حجر، ولذلك يكفي السكوت بقدرها، وأما الجلسة التي تكون بعد الصعود على المنبر، وقبل الآذان والخطبة فلا يختلف حكمها عن حكم الجلسة بين الخطبتين، فكلاهما ثابت من فعله ﷺ، وفعل الخلفاء من بعده رضي الله عنهم أجمعين.

الرابعة والعشرون: هيئة الخطيب:

يُسن للخطيب والمأموم أن يتجمل ويتزين للجمعة بما يقدر عليه، وبما يليق به، فيغتسل غسل الجمعة لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يخطب

---

(١) رواه الجماعة .

(٢) رواه أحمد ومسلم وأبو داود .

على المنبر فقال: «**من جاء إلى الجمعة فليغتسل**»(١)، ويمس طيباً، أما المرأة فليس لها ذلك إن كانت ستمر بمجامع الرجال بحيث يشمون رائحتها، وعليها إزالة الطيب إن انبعث منها درءاً للفتنة، وكان رسول الله ﷺ يلبس أحسن ما عنده للجمعة والعيدين، وقد ورد في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن عمر بن الخطاب رأى حُلَّةً سيراء عند باب المسجد فقال: يا رسول الله لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة وللوفد إذا قدموا عليك ؟ فقال رسول الله ﷺ «**إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة**»، ثم جاءت رسول الله ﷺ منها حُلَلٌ، فأعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه منها حُلَّة، فقال عمر: يا رسول الله كسوتنيها، وقد قلت في حُلَّة عطارد ما قلت ؟ قال رسول الله ﷺ: «**إني لم أكسكها لتلبسها ؟ فكساها عمر بن الخطاب أخاً له بمكة مشركاً**»(٢)، ولا إنكار في الحديث على التجمل للجمعة بلبس أحسن ما يجد، وإنما الإنكار لكون الحلة من حرير، وقد بوب الإمام البخاري – رحمه الله – باب: يلبس أحسن ما يجد.

وفي حديث عبد الله بن سلام: «**ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوب مهنته**»(٣).

وكان ﷺ يلبس العمامة ويرخي الذؤابة كما في حديث عمرو قال: «كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفه»(٤)، وكان أحياناً لا يلبس العمامة ولا يرخي الذؤابة، ولذلك فتغطية رأس الرجل ليس من شروط صحة الصلاة، إذ قد ورد أن النبي ﷺ صلَّى بدون عمامة أو قلنسوة، وإن كان الغالب من أحواله تغطية الرأس، أما الروايات التي فيها تعمموا فإن الشيطان لا يتعمم فليست صحيحة ولا تقوم بها حجة ويبقى أن يقال: إن كشف الرأس في هذه المواضع

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وأحمد وابن ماجه .

(٣) رواه ابن ماجه وأبو داود ، وهو صحيح لغيره ، قال في الزوائد « إسناده صحيح ورجاله ثقات » .

(٤) رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

خلاف الأولى، وعلى الخطيب أن يُراعي عُرف أهل بلده، حتى لا يُنسب للإخلال بمعاني المروءة، وما يفعله البعض من التزين للجمعة بحلق اللحية، فهي معصية ومخالفة للأدلة الكثيرة التي أمرت بإطلاقها، وحرمت حلقها مثل أوفوا، وفوا، أرخوا... فلا يحل التزين ولا التجمل بمخالفة أمر الله.

الخامسة والعشرون: سلام الخطيب:

كان النبي ﷺ يسلم على الجالسين إذا صعد المنبر واستقبل الناس بوجهه، وجرى عمل الخلفاء الراشدين على ذلك، فعن جابر رضي الله عنه « **أن النبي ﷺ كان إذا صعد المنبر سلَّمَ** »(١)، ويشهد له ما ورد عن عطاء، قال: كان النبي ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة استقبل الناس بوجهه وقال: «**السلام عليكم**»، وما جاء عن الشعبي قال: «كان النبي ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة استقبل الناس بوجهه وقال: «**السلام عليكم**»، وكان أبو بكر وعمر وعثمان يفعلونه ».

والأكمل في السلام أن يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وهو يوافق الإطلاق في رواية جابر، أو يقول: «**السلام عليكم**» أو «**السلام عليكم ورحمة الله**» كما ورد في بعض الروايات، ولا تعارض بينها، فيسلم الخطيب على الجالسين بعد صعوده على المنبر واستقباله لهم، ثم يجلس، فيشرع المؤذن في التأذين ثم يقوم الإمام فيخطب.

السادسة والعشرون: دعاء الخطيب:

كان النبي ﷺ إذا دعا أشار بأصبعه السبابة فقط، فعن عمارة بن رويبة رضي الله عنه «أنه رأى بشر بن مروان على المنبر رافعاً يديه، فقال: قبح الله هاتين اليدين، لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا، وأشار بإصبعه المسبحة»(٢).

---

(١) حديث ضعيف وله شواهد يتقوى بها .

(٢) رواه مسلم دون تقيد بالدعاء ، ورواه الترمذي وأبو داود وأحمد مقيداً بالدعاء .

وقد ورد رفع اليدين في دعاء الاستسقاء، أما في غير ذلك من خُطبه ﷺ، فقد كان يكتفي بالإشارة بالسبابة حال دعائه، وهذا لا يتنافي مع رفعه اليدين حال الدعاء في غير ذلك من المواطن بعيداً عن الخطبة إظهاراً للخضوع والتذلل فينبغي إعمال النصوص في مواضعها، إذ أن العبادات توقيفية، تؤخذ دون زيادة، ودون نقصان، ولذلك قال ابن تيمية: « ويُكره للإمام رفع يديه حال الدعاء في الخطبة، لأن النبي ﷺ إنما كان يشير بإصبعه إذا دعا» اهـ وفي حديث سهل بن سهل أنه أشار بالسبابة وعقد الوسطى بالإبهام (١).

وليس للخطيب أن يُؤْثر نفسه بالدعاء، بل يستخدم صيغة الجمع ليشمل عموم المصلين، ويكره السجع في الدعاء، وقد بوَّب بذلك الإمام البخاري وساق حديث عكرمة عن ابن عباس قال: حدث الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرات، ولا تمل الناس هذا القرآن، ولا ألفينك تأتى القوم وهم في حديث من حديثهم فتقُصُّ عليهم، فتقطع عليهم حديثهم فتملهم، ولكن أنصتْ فإذا أمروك فحدِّثهم وهم يشتهونه، وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب، وما اجتمع رسولُ الله ﷺ بأصحابه إلا ودعا لهم، فإذا دعا الإمام في خطبة الجمعة فليس للمأموين التأمين بصوت مرتفع على دعاءه، ولا أن يرفعوا أيديهم، لأنه لم يرد ما يدل على ذلك في هذا الموطن، وعلى الخطيب أن لا يترك لهم الفرصة ليؤمنوا على دعاءه برفعِ الصوت، فإذا جلس الخطيب لِلاستراحة بين الخطبتين، فليس له ولا للمأمومين أن يَخَصِّصوا هذه الجلسة بالدعاء ورفع الأكف كما هو الحال في كثير من المساجد، إذ فعل ذلك لم ينقل عن رسول الله ﷺ ولا عن الخلفاء الراشدين من بعده، كما لم ينقل أن الناس فعلوه على عهده ﷺ، وليس للخطيب أن يلتَزم أو أن يواظب عند انتهاء الخطبة الأولى على قوله: « التائب حبيب الرحمن » أو «التائب من الذنب كمن لا ذنب له » أو « ادعوا الله

---

(١) رواه أبو داود وغيره .

وأنتم موقنون بالإجابة »، وكذلك لا يلتزم ختم الخطبة الثانية بقوله: « عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، اذكروا الله يذكركم واستغفروه يغفر لكم » أو ما شابه ذلك، فلو فعله مرة أو مرات فلا بأس أما إلتزامه أو الاستمرار على ذلك فقد يتوهَّمُه البعض سُنَّةً عن رسول الله ﷺ والأمر ليس كذلك.

السابعة والعشرون: قطع الخطبة للسجود أو الكلام مع الناس للأمر العارض:

عن أبي بريدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كان رسول الله ﷺ يخطبنا، فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: «**صدق الله ورسوله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾** [الأنفال: ٢٨]، **نظرت هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما**» (١).

وعن أبي رفاعة العدوي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب فقلت: يا رسول الله رجل غريب يسأل عن دينه لا يدري ما دينه ؟ «فأقبل عليَّ وترك خطبته حتى انتهى إليَّ فأتى بكرسي من خشب قوائمه حديد فقعد عليه، وجعل يعلمني مما علمه الله تعالى، ثم أتى الخطبة فأتم آخرها» (٢).

قال ابن القيم: «وكان ﷺ يقطع خطبته للحاجة تعرض والسؤال لأحد من أصحابه فيجيبه، وربما نزل للحاجة ثم يعود فيتمها كما نزل لأخذ الحسن والحسين، وأخذهما ثم رقى بهما المنبر فأتم خطبته، وكان يدعو الرجل في خطبته تعالى اجلس يا فلان، صلى يا فلان، وكان يأمرهم بمقتضى الحاجة في خطبته» اهـ.

وهذا يشمل خطبة الجمعة وغيرها، فقد قطع النبي ﷺ خطبة الجمعة وقال

---

(١) رواه الخمسة .
(٢) رواه مسلم والنسائي .

لسُليك الغطفاني: قم فصلي ركعتين وتجوَّز فيهما، وقال لآخر: اجلس فقد آذيت وآنيت لما رآه يتخطى الرقاب، وراجع عمر عثمان وهو على المنبر يوم الجمعة.

فإذا قرأ آية سجدة على المنبر فله أن يسجد، وللناس أن يسجدوا معه. فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر «ص» فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشزن «تهيأ واستعد» الناس للسجود، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما هى توبة نبي، ولكني رأيتكم تشزنتم للسجود فنزل فسجد فسجدوا**» (١) فللخطيب أن يقرأ القرآن في الخطبة، وسجوده إذا مرَّ بآيه السجدة مستحب على قول جمهور العلماء وسواء سجد على المنبر إن استطاع أو على الأرض، فإن ذلك لا حرج فيه، ولا يُعترض عليه لثبوته في الآثار.

الثامنة والعشرون: لا داعي للتشدق والتفيهق والتقعر والتكلف فى الخطبة:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦)﴾ [ص: ٨٦]

وعن أبي أُمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**الحياء والعيُّ شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق**» (٢)، قال الترمذي: «والعي قلة الكلام، والبذاء هو الفحش في الكلام، والبيان هو كثرة الكلام مثل هؤلاء الخطباء الذين يخطبون فيوسعون في الكلام ويتفصحون فيه من مدح الناس فيما لا يرضي الله» اهـ.

وقد ورد النهي عن تكلف السجع في الكلام، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «اقتتلت امرأتان من هذيل، فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها فاختصموا إلى رسول الله ﷺ فقضى رسول الله ﷺ أن دية جنينها غرة عبداً أو وليدة، وقضى بدية المرأة على عاقلتها وورثها ولدها ومن معهم، فقال حمل بن النابغة الهذلي: يا رسول الله كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل؟ فمثل ذلك بطل، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما هذا من إخوان الكهان**» من أجل سجعه الذي سجع» (٣).

(١) رواه أحمد والترمذى وابن أبى شيبة والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى .
(٢) رواه مسلم وأبو داود والنسائى وأحمد والترمذى وابن ماجه.
(٣) رواه مسلم وأبو داود والنسائى وأحمد والترمذى وابن ماجه .

فالسجع وما شابهه من صور التكلف، يُشوِّش على السامعين، ويشغلهم عن معنى الخطبة بما لا طائل تحته، ويصيرها جسداً بلا روح، بعكس ما لو خرجت العبارات من القلب، وبلا تكلف وكانت موزونة أحياناً، ولا معارضة فيها لحكم الشرع كعبارات رسول الله ﷺ، فإن ذلك هو الذي يُستحسن إذ خير الهدي هدي رسول الله ﷺ، وقد ورد عن عمر رضي الله عنه أنه قال: يوم سقيفة بني ساعدة فزورت مقالة أعجبتني أقولها بين يدي أبي بكر الصديق رضي الله عنه فإعداد الخطبة وتحسين العبارات بلا تكلف شيء، والتقعر والتشدق والسجع شيء آخر.

التاسعة والعشرون: استخلاف الخطيب من يصلي بالناس:

جرى العمل على أن الخطيب هو الذي يؤم الناس في صلاة الجمعة، وهذا هو الثابت من فعل رسول الله ﷺ والخلفاء من بعده، ولكن قد يطرأ عذراً من الأعذار يحول ويمنع دون صلاة الخطيب بهم، فلا حرج في ذلك، قال ابن قدامة في المغنى: والسُّنة أن يتولى الصلاة من يتولى الخطبة لأن النبى ﷺ كان يتولاهما بنفسه، وكذلك خلفاؤه من بعده وإن خطب رجل وصلَّى آخر لعذر جاز نص عليه أحمد، ولو خطب أمير فعزل وولى غيره فصلى بهم فصلاتهم تامة نص عليه، لأنه إذا جاز الاستخلاف في الصلاة الواحدة للعذر ففي الخطبة مع الصلاة أولى، وإن لم يكن عذر فقال أحمد - رحمه الله - لا يعجبنى من غير عذر فيحتمل المنع لأن النبى ﷺ كان يتولاهما، وقد قال: «**صلوا كما رأيتمونى أصلى**»، ولأن الخطبة أقيمت مقام ركعتين، ويحتمل الجواز لأن الخطبة منفصلة عن الصلاة فأشبهتا صلاتين. ا هـ.

ولا يخفى عليك أن إطلاق القول باستخلاف الخطيب من يصلي بالناس يخالف السُّنة الثابتة من فعل رسول الله ﷺ وفعل الخلفاء الراشدين من بعده، وأبعد منه قول البعض: إن رأى الخطيب في القوم من هو أحفظ منه لكتاب الله أو أعلم منه بالسُّنة - إن تساويا في القراءة - فإنه حينئذ ينبغى عليه أن يقدِّمَهُ، فإن لم يفعل فهو آثم!! ومن المعلوم أنه لا تكاد تخلو خطبة جمعة من مثل ذلك، وقد تكلم العلماء على إمامة

الراتب، وأنه لا يؤم الرجل الرجل في سلطانه، فيبقى قَصْرُ الاستخلاف على وجود العذر كما قال الإمام أحمد - رحمه الله -.

الثلاثون: خطبة الصبي:

قال عمرو بن سلمة رضي الله عنه: كنا بماء ممر الناس وكان يمر بنا الرُّكبان، فنسألهم: ما للناس ما للناس؟ ما هذا الرجل؟ فيقولون يزعم أن الله أرسله، أوحى إليه، أوحى الله بكذا، فكنت أحفظ ذاك الكلام، فكأنما يُقَرُّ في صدري، وكانت العرب تلومُ بإسلامهم الفتح فيقولون: اتركوه وقومه فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلام وبدرَ أبي قومي بإسلامهم، فلما قدم قال: جئتكم والله من عند النبي ﷺ حقاً. فقال: صلوا صلاة كذا في حين كذا وصلوا صلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنا. فنظروا فلم يكن أحدنا أكثر قرآنا منى لما كنت أتلقى من الركبان فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين وكانت عليَّ بردة. كنت إذا سجدت تقلصت عني، فقالت امرأة من الحي: « ألا تغطون عنا است قارئكم؟ » فاشتروا فقطعوا لي قميصاً فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص» (١).

ويتضح من ذلك جواز إمامة الصبي المميز في النافلة والفريضة، وأن السبق سبق الفضل والصفات لا سبق الزمان والمكان والسن، وأن من بطأ به عمله لم يُسرع به نسبُه، وأن يسير انكشاف العورة لا يبطل الصلاة، كما قال ابن تيمية، وأنه لا يجوز تقديم الكبير على الصغير إذا كان الكبير عارياً من الحفظ وشروط الإمامة، فيؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسُّنة، فإن كانوا في السُّنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأكبرهم سناً، وإذا صحت صلاة الصبي على النحو الوارد في حديث عمرو بن سلمة صحت خطبته، إذ الواجبات تسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة، وحالات الاضطرار تفترق عن حالات الاختيار، وإلا فلو وُجد الأمثل كفاءة وسناً فإنه يتقدم، ولا يليق بالصبي حينئذ أن يتقدم عليه.

---

(١) رواه البخارى ، وأبو داود والنسائى .

الحادية والثلاثون: حالة الناس فى الانتفاع بالخطبة:

قال النبي ﷺ: «**يَحْضُرُ الجمعة ثلاثة نفر: رجل حضرها يلغو وهو حظُّه منها، ورجلٌ حضرها يدعو فهو رجل دعا الله عز وجل، إن شاء أعطاه وإن شاء منعه، ورجل حضرها بإنصات وسكوت ولم يتخطَّ رقبة مسلم ولم يؤذِ أحداً فهي كفارة إلى الجمعة التي تليها وزيادة ثلاثة أيام، وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾** [الأنعام: ١٦٠]»(١).

فعلى فرض عدم تقصير الخطيب، واندفاع الأسباب من ناحيته، وقيامه بالأمر على وجهه، سنجد أن حالة السامعين متفاوته، فالبعض يقضي وقت الخطبة في النوم بسبب السهر أو اللعب أو نحو ذلك، من صور الإجهاد قبل مجيئه للخطبة، ومثل هذا لا يكاد ينتبه إلا إذا أُقيم لصلاة الجمعة.

والبعض الآخر يعبث بثوبه أو بالأرض، أو بالنظر يميناً وشمالاً، والتَّطلُّع للكبير والصغير فينشغل بهذا وغيره عن الخطبة، وفريق من الناس، يفسح صدره للوساوس والمشكلات والمهاترات وكأنه لا يجد وقتاً لذلك إلا عند سماعه للخطبة.

فينبغي علينا أن ننتبه، فلكل مقام مقالٍ، ولابد من الجمع بين المصالح، والأخذ بأسباب إتمام الطاعات على وجهها، وبما يُرضي الله، فهو المطَّلع على السر والعلانية، والرقيب على خلقه في الغضب والرضا، والعسر واليسر والمنشط والمكره، وهو الذي يجازي بالحسنات إحساناً، وبالسيئات عفواً وغفراناً، فوجب علينا أن نستحي منه سبحانه أن يرانا على هذه الغفلة، ولا يليق أن يبحَّ الخطيب صوته، ونحن عنه ساهون، فليس هذا من توقيره، ولنحذر أن نكون مرتعاً لوساوس الشياطين، بحيث يأخذ الشيطان منا حظه ونصيبه، إذا هممنا بطاعة الله، وهو فقيه في الشر، ومن فقهه في الشر أنه قد يدل الإنسان على بعض أفعال البر، ليصرفه عما هو أعظم منها، ثم أنت بحاجة لإبلاغ الحق للخلق ودلالة الأهل والأولاد على ما سمعته في الخطبة من معاني

---

(١) رواه أبو داود، وأحمد والبيهقي، وابن خزيمة وحسنه الألباني .

الإيمان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، وفي الحديث: «**ما من عبد يسترعيه رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**»[١]، وورد بلفظ «**ما من عبد استرعاه الله رعيته فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة**»[٢]، فانتهز فرصة الخطبة في تجديد إيمانك، واسع في نصح وتجديد إيمان الآخرين، وتأهب بقلبك وعقلك وسائر جوارحك لإستقبال هذا الزاد ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٧)﴾ [البقرة: ١٩٧].

الثانية والثلاثون: تحول من نعس أثناء الخطبة من مجلسه:

عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**إذا نعس أحدكم وهو في المسجد فليتحول من مجلسه ذلك إلى غيره**»[٣].

فعلى من غلبه النعاس أن يتحول من مكانه إلى مكان آخر، لأن الحركة تجدد النشاط وقد تذهب بالنعاس، وتكون باعثاً على اليقظة، ويستوى في ذلك يوم الجمعة وغيره، وخطبة الجمعة وغيرها.

الثالثة والثلاثون: كراهة تخطي الرقاب يوم الجمعة:

عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة، والنبي ﷺ يخطب، فقال له رسول الله ﷺ: «**اجلسْ فقد آذيت وآنيت**»[٤].

حكى الترمذي عن أهل العلم أنهم كرهوا تخطي الرقاب يوم الجمعة وشَدَّدُوا في ذلك، وذهب البعض إلى تحريمه، **ويستثنى من ذلك صور لا حرج فيها، منها:**

[١] الإمام إذا لم يبلغ المنبر إلا بالتخطّي، فلا يكره له لإضطراره إليه، وفي مذهب

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه أحمد وأبو داود والبيهقى والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .
(٤) رواه أبو داود والنسائي وأحمد وصححه ابن خزيمة وغيره ، ومعنى آنيت : أي أبطأت وتأخرت .

الإمام أحمد روايتان إحداهما: التخطي، والأخرى: إن كان يتخطى الواحد والاثنين فلا بأس، لأنه يسير فعفى عنه وإن كثر كرهنا . اهـ المغني لابن قدامة.

[٢] إذا وجَدَ المأموم فرجة في الصفوف، ولا يصل إليها إلا بالتخطي، فلا كراهة، لكن يُستحب إذا وجد غيرها أن لا يتخطى.

[٣] إذا كان جلوس البعض بحيث يسد طريق الناس، ولا يتمكن الداخل من المرور إلا بالتخطي فلا حرج عليه.

[٤] إذا أَذِنَ له القوم في التخطي، وإن كان يُكْرَه لهم الإيثار بالقُرب والطاعات.

[٥] وكذلك إذا قام من مجلسه لحاجة كوضوء ونحوه ثم رجع فهو أحقُّ بمجلسه وإن تأذّى ذلك لتخطي الرقاب لقول النبي ﷺ: «**من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به**».

ويبقى الحرج على من يأتي متأخراً ثم يتخطى الرقاب بزعم محبته للخير والأجر، وحرصه على الصلاة في الصفوف الأولى، فمن كان حريصاً بصدق فعليه التبكير إلى الجمعة لا تخطي الرقاب، وقد ورد في حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة « أي كغسل الجنابة » ثم راح فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرّب كبشاً أقرن « له قرون »، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذّكر**» [١]، وقد ذهب جمهور العلماء إلى أنها ساعات حقيقية تبدأ من طلوع الفجر، وليست مجرد لحظات خفيفة بعد الزوال كما قالت المالكية.

---

(١) رواه الجماعة إلا ابن ماجة .

الرابعة والثلاثون: التأخر عن حضور الخطبة للبيع ونحوه وحكم ذلك:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الجمعة: ٩]، فرض الله تعالى الجمعة على كل مسلم، وذهب جمهور العلماء إلى أنها فرض على الأعيان، قال القرطبي: وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**لينتهينَّ أقوامٌ عن وَدْعِهم الجُمعات أو لَيَخْتِمَنَّ الله على قلوبهم ثم ليكونُن من الغافلين**»، وهذا حجة واضحة في وجوب الجمعة وفرضيتها، وفي سنن ابن ماجه عن أبي الجعد الضمرى - وكانت له صحبة- قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاوناً بها طبع الله على قلبه**»[(١)]، وحديث جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك الجمعة ثلاثاً من غير ضرورة طبع الله على قلبه»، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**الرواح إلى الجمعة واجب على كل مسلم**». اهـ.

ويستثنى من حضورها المرأة والصبي والعبد والمسافر والمريض، فيصلونها ظهراً، وإن صلوها مع الإمام أجزأتهم، وقد أمر سبحانه في هذه الآيات بالسَّعى إلى ذكر الله، أي الصلاة، وقيل الخطبة، والمواعظ، قاله سعيد بن جبير، وقال ابن العربي: والصحيح أنه واجبٌ في الجميع وأوله الخطبة، وقد منع سبحانه من البيع عند صلاة الجمعة وحرَّمَهُ في وقتها على من كان مخاطباً بفرضها، والبيع لا يخلوا عن شراء فاكتفي بذكر أحدهما، وقد ذهب الجمهور إلى أن النهى عن البيوع والعقود يقتضى التحريم، وذهب الإمام إلى أن النهى يقتضى البطلان والفساد، قال القرطبي: الصحيحُ فساده وفَسْخُهُ لقوله ﷺ: «**كُلُّ عمل ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**» أي مردود، والله أعلم. اهـ.

ووقت التحريم من بعد الزوال إلى الفراغ منها على قول الضحاك والحسن، وقال الشافعي: من وقت أذان الخطبة إلى وقت الصلاة... والنهى الوارد لا يقتصر على البيع والشراء على الصحيح، قال ابن العربي: « والصحيح فسخ الجميع، لأن البيع إنما مُنع

(١) إسناده صحيح.

منه للاشتغال به، فكلُّ أمرٍ يَشْغَلُ عن الجمعة من العقود كلها فهو حرام شرعاً مفسوخ ردعاً ». اهـ.

فعلى من يأتي خطبة الجمعة متأخراً أن يتقي الله، وقد صارت ظاهرة أن يأتي كثير من الشباب الصلاة مسبوقاً، وليس هذا من تعظيمها، فتعظيم الصلاة أن تأتي قبل الإقامة، والعلماء يقولون: إذا رأيت الرجل يتخلف عن تكبير الإحرام فاغسل يديك منه، ومما يؤسف له أيضاً ما يحدث يوم الجمعة، حيث يصعد الإمام لخطبة الجمعة، ولا يكاد يمتلئ المسجد بالمصلين إلا عند قرب فراغه من خطبته ويتكرر الأمر كل جمعة رغم التذكير والتنبيه بمشروعية التبكير بحضورها، والتحذير من الانشغال عنها.

الخامسة والثلاثون: متى يصعد الإمام للخطبة وما الحكم إذا تأخر؟:

جرى العمل على صعود الإمام على المنبر لخطبة الجمعة، ثم يبدأ المؤذن في رفع الآذان، ولكن قد يتأخر الخطيب عن الميعاد الذي تعارف عليه الناس لسبب أو لآخر، الأمر الذي يُحدث نزاعاً وفتنة في بعض الأحيان، وقد نقل البعض الإتفاق على أن آخر وقت صلاة الجمعة هو آخر وقت صلاة الظهر، وإنما وقع الخلاف في وقت الإبتداء، فذهب الجمهور إلى أن وقتها يبدأ بالزوال وليس قبله، وأما الإمام أحمد فذهب إلى جوازها قبل الزوال لحديث سهل بن سعد قال: «**ما كُنَّا نقيلُ ولا نتغدَّى إلا بعد الجمعة**» (١)، وبحديث جابر لما سئل متى كان رسول الله ﷺ يصلي الجمعة ؟ قال: «كان يصلى ثم نذهب إلى جمالنا فنريحها» (٢).

ولا تعارض بين ما استدل به الجمهور وبين ماذهب إليه الإمام أحمد، فصلاة الجمعة لا يُختلف على مشروعيتها بعد الزوال، والنصوص قد دلت على جوازها أيضاً قبله، والصحابة تلقوا الأمرين عن رسول الله ﷺ - كما يقول الألباني - فكانوا -مثله عليه السلام - يفعلون تارة هذا وتارة هذا، وعن عبد الله بن سيدان السلمي قال: «شهدت

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود وأحمد والترمذي وابن ماجه .
(٢) رواه مسلم وأحمد والنسائي .

الجمعة مع أبي بكر الصديق فكانت خطبته وصلاته قبل نصف النهار، ثم شهدنا مع عمر، فكانت خطبته وصلاته إلى أن أقول انتصف النهار، ثم شهدنا مع عثمان فكانت خطبته وصلاته إلى أن أقول: زال النهار فما رأيت أحداً عاب ذلك ولا أنكره»[١].

فلا حرج إذا تأخر الخطيب، ولا ينبغي إحداث الفتنة بسبب ذلك، وهذا الحكم خاص بصلاة الجمعة، أما من لم يشهدها ولم تجب عليه، فلا يصلى إلا بعد دخول وقت الظهر، إذ الصلاة قبل دخول وقتها تقع باطلة باتفاق العلماء.

وعلى قول الحنابلة وغيرهم فإذا اجتمع الجمعة والعيد في يوم واحد سقطت الجمعة عمن صلى العيد لحديث زيد بن أرقم، قال: صلى النبي ﷺ العيد ثم رخص في الجمعة فقال: «**من شاء أن يصل فليصلِّ**»[٢]، وعن أبي هريرة أنه ﷺ قال: «**قد اجتمع في يومكم هذا عيدان، فمن شاء أجزأه من الجمعة وإنا مجمِّعون**»[٣].

وعن ابن الزبير قال: «عيدان اجتمعا في يوم واحد، فجمعهما فصلاهما ركعتين بكرة، لم يزد عليهما حتى صلى العصر»[٤].

السادسة والثلاثون: بعض المخالفات والبدع التى تحدث فى خطبة الجمعة:

[١] قراءة المؤذنين للصمدية « قل هو الله أحد » ثلاث مرات، وتكرار الصلاة على النبي ﷺ إذا خرج الإمام على الناس في المسجد.

[٢] الترقية عند صعود الخطيب والتأمين على دعائه، والترقية هى أن يقول المؤذنون « إن الله وملائكته يصلون على النبي » بعد صعود الخطيب المنبر، أو «إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة - والإمام يخطب - أنصت فقد لغوت» فإذا دعا الخطيب أمَّنوا على دعائه وكله من البدع المكروهة.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة والدارقطني ، ورجاله ثقات غير عبد الله بن سيدان .
(٢) رواه الخمسة وصححه ابن خزيمة والحاكم .
(٣) ، (٤) رواه أبو داود .

[٣] دعاء الخطيب قبل صعوده المنبر، وبدع الخطبة، قال النووي في الروضة: « ويكره في الخطبة أمور ابتدعها الجهلة،منها إلتفاتهم في الخطبة الثانية، والدق على درج المنبر في صعوده، والدعاء إذا انتهى صعوده قبل أن يجلس، وربما توهموا أنها ساعة الإجابة، وهذا جهل، فإن ساعة الإجابة إنما هي بعد جلوسه[١]، ومنها المجازفة أو أوصاف الأمراء في الدعاء لهم، ومنها مبالغتهم في الإسراع في الخطبة الثانية وخفض الصوت بها».

[٤] مواظبة الخطباء على قراءة حديث في أول الخطبة الأولى دائماً، ليس له أصل،كمواظبتهم على حديث « التائب من الذنب كمن لا ذنب له».

[٥] التكلف في رفع الصوت في الصلاة على النبي ﷺ فوق المعتاد.

[٦] قرائتهم سورة الإخلاص ثلاثاً أثناء الجلوس بين الخطبتين.

[٧] رفع الخطيب يديه في الدعاء.

[٨] رفع القوم أيديهم تأميناً على دعائه.

[٩] ومنها ما يفعله بعض المؤذنين حال جلوس الخطيب بين الخطبتين، من قيامه ودعائه بالنفع للخطيب والمستمعين.

[١٠] تخصيص الإعتمام لصلاة الجمعة وغيرها، قال الألبانى: « الأحاديث الواردة في فضيلة الصلاة بالعمامة لا يصحُّ منها شيء ».

[١١] إنشاد الشعر في مدح النبي ﷺ عند صعود الخطيب المنبر أو قبله.

[١٢] الإلتفات يميناً وشمالاً عند قوله، آمركم وأنهاكم وعند الصلاة على النبي ﷺ «ذكره أبو شامة ».

[١٣] التمسح بالخطيب إذا نزل من المنبر، بدعة قبيحة.

---

(١) الراجح أنها بعد العصر .

السابعة والثلاثون: خطبة العيد:

الخطبة بعد صلاة العيد سُنة: والاستماع إليها كذلك، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «**كان النبي ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى**[١] ، **وأول شيء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس، والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم، وإن كان يريد أن يقطع بعثاً أو يأمر بشيء أمر به ثم ينصرف**»[٢] .

وعن عبد الله بن السائب رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله ﷺ العيد فلما قضى الصلاة قال: «**إنا نخطب فمن أحب أن يجلس للخطبة فليجلس، ومن أحب أن يذهب فليذهب**»[٣] .

وكل ما ورد في أن للعيد خطبتين، يفصل بينهما الإمام بجلوس فهو ضعيف، قال النووى: « لم يثبت في تكرير الخطبة شيء ». ا هـ.

ويستحب افتتاح الخطبة بحمد الله كما قال ابن القيم، إذ لم يُحفظ عن النبي ﷺ أنه كان يفتتح خطبتي العيد بالتكبير، وإنما ورد أنه كان يُكبر بين أضعاف – فقرات الخطبة – ويكثر التكبير في خطبة العيدين.

الثامنة والثلاثون: أعظم عوامل رُقي الخطابة:

أولاً - القرآن الكريم:

يجد الخطيب في القرآن الكريم أفضل طرق الإقناع الخطابي، عندما ينهج نهجه في الاستدلال، حيث يجد في الآيات البينات استقامة المعنى وجمال اللفظ وجودة الأسلوب، ومخاطبة العقول والقلوب، وإثارة الرغبة، وغير ذلك، حتى كان من مزايا الخطبة أن تكون مشتملة على شيء من القرآن الكريم، قال الجاحظ [٤]: كانوا

---

(١) المصلى : موضع بينه وبين المسجد ألف ذراع ، كانت تؤدى فيه صلاة العيد .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه النسائي وأبو داود وابن ماجه .
(٤) كان معتزلياً ممن يقدمون العقل على النقل .

يُسَمُّونَ الخطبة التي لم توشح بالقرآن الكريم، وتُزيَّن بالصلاة على النبي ﷺ بالشَّوْهاء، ففي الحق وجد الخطباء المثل الأعلى في الكتاب العزيز، فنهجوا نهجه في الإقناع، وإقامة الحجة، واقتبسوا من لفظه واستعانوا بروحه، فحيوا في بلاغتهم وخطبهم حياة جديدة.

وقد اكتسبت اللغة العربية من القرآن الكريم سِعَةً في المعنى، إذ قد جاء القرآن في لفظ سهل متين، خال من الألفاظ الخشنة الجافة، يصل إلى الأغراض من أقرب مسالكها، فتهذبت به اللغة أتم تهذيب، وسَمَتْ إلى مستوى ما كان يتهيأ لها بغير القرآن الكريم، قال الجاحظ في إعجاز القرآن: بعث الله محمداً ﷺ في زمن أكثر ما كانت العرب شاعراً أو خطيباً، وأحكم ما كانت لغة، وأشد ما كانت عُدَّةً، فدعا أقصاها، وأدناها إلى توحيد الله، وتصديق رسالته، فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر وأزال الشبهة وصار الذي يمنعهم من الإقرار الهوى والحَمية، دون الجهل والحيرة حملهم على حضِّهم بالسيف، فنصب لهم الحرب، ونصبوا له، وقتل من عليتهم وأعمامهم وبنى أعمامهم، وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن الكريم، ويدعوهم صباحاً ومساءً إلى معارضته إن كان كاذباً، بسورة واحدة أو بآيات يسيرة فكلما ازداد تحدياً لهم بها وتقريعاً بعجزهم عنها قالوا: أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف، فذلك يُمَكِّنُك ما لا يُمَكِّننا، قال: فهاتوا عشر سور ولو مفتريات، فلم يرم ذلك خطيب، ولا طمع فيه شاعر، ولو تكلفه لظهر ذلك، ولو ظهر لوجد من يستجيده، ويحامى عليه، ويكابر فيه، ويزعم أنه قد عارض وناقض، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم، وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم، وكثرة من هجاه منهم، وعارض الشعراء من أصحابه والخطباء من أمته لأن سورة واحدة وآيات يسيرة، كانت أنقض لقوله، وأبلغ في تكذيبه، وأسرع في تفريق أتباعه، من بذل النفوس والخروج عن الأوطان، وإنفاق الأموال، وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفي على من هو دون قريش والعرب، في الرأي والفضل بطبقات، ولهم القصيد العجيب، والرجز الفاخر، والخطب الطوال البليغة، والقصار الموجزة، ولهم الأسجاع واللفظ المنثور، ثم يتحدى به أقصاهم بعد أن ظهر عجز أدناهم، ومحال أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط في الأمر الظاهر،

والخطاب المكشوف البين مع التقريع بالتقصير والتوقيف على العجز، وهم أشد الخلق أنفة، وأكثرهم مفاخرة، والكلام سيد أعمالهم، وقد احتاجوا إليه، والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة، وكما أنه محال أن يطيقوه ثلاثاً وعشرين سنة على الغلط في الأمر الجليل المنفعة، فكذلك محال أن يتركوه، وهم يعرفونه ويجدون السبيل وهم يبذلون أكثر منه»(١) ا هـ. بتصرف.

لقد سمعه الوليد بن المغيرة فقال: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق وماهو بقول البشر، فإذا كان هذا هو أثره في المشرك المناوئ، فكيف يكون أثره في الآخذين بهديه، المقتدين بنوره، فانهل من هذا المورد العذب، وتدبر هذه الآيات البينات، وتفقه في معانيها، فإذا انتقشت في قلبك، وانصبغت بها روحك وحياتك، ونطق بها لسانك، كان لذلك أبلغ الأثر في خطبتك.

ثانياً - الحديث النبوي الشريف:

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۞﴾ [النجم: ٣، ٤] وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فالنبيُّ ﷺ هو المُبين لآيات الله، وقد أوتي جوامع الكلم وفواتحه وخواتمه، أدَّبه ربُّه فأحسن تأديبه، وكان خُلقه القرآن، قال الجاحظ في وصف كلامه ﷺ: «هو الكلام الذي قَلَّ عدد حروفه، وكَثُرَ عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونُزِّه عن التكلف، وكان كما قال الله تبارك وتعالى ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، فكيف وقد عاب التشدُّق وجانب أصحاب التقعير، استعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السُّوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام حف بالعصمة، وشِيدَ بالتأييد ويُسر بالتوفيق، وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حُسن

---

(١) رأى النظام شيخ الجاحظ وهو أحد رؤوس المعتزلة إن إعجاز القرآن كان يصرف العرب عن معارضته، فكان هذا الصرف خارقاً للعادة، والحقيقة أن القرآن معجز فى ألفاظه وأسلوبه، وفى بيانه ونظمه، وفى تشريعه وحكمه، ومعجز بعلومه ومعارفه ... .

الإفهام، وقلة عدد الكلام، وهو مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولازالت له قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبدء الخطب الطوال بالكلام القصير، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج(١)، إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة(٢)، ولا يستعمل المواربة ولا يهمز ولا يلمز(٣)، ولا يبطئ ولا يعجل ولا يسهب ولا يحصر، ثم لم يسمع الناس بكلام أعم نفعاً، ولا أحسن لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ... ولعل بعض من لم يتسع في العلم، ولم يعرف مقادير الكلام، يظن أنا تكلفنا له من الامتداح والتشريف ومن التزيين والتجويد، ماليس عنده، ولا يبلغ قدره، كلا ! والذي حرم التزيد على العلماء، وقبّح التكلف عند الحكماء، وبهرج(٤)، الكذابين عند الفقهاء، لا يظن هذا إلا من ضل سعيه» اهـ فرطب لسانك بأحاديث رسول الله ﷺ وزين جوارحك بالعمل بمقتضاها، وتفقه في معانيها، فلذلك أبلغ الأثر في نفوس السامعين، إذ السنة ومحبة صاحبها ﷺ تصل إلى شغاف القلوب من أقصر طريق.

ثالثاً - كل خير في اتباع من سلف في الخطابة وغيرها:

من أعظم أسباب رقي الخطبة الرجوع لما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام.

فكل خير في اتباع من سلف(٥) وكل شر في ابتداع من خلف

وما لم يكن يومئذ ديناً فليس اليوم ديناً، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وهذا يشمل الخطبة والوعظ والتذكير وغير ذلك، فهم عن علم نطقوا، وببصر

---

(١) الفلج : الظفر والفوز .
(٢) الخلابة : الخديعة في القول .
(٣) يلمز: معناه يغتاب .
(٤) يهرج : أهمل .
(٥) السلف: هم الصحابة ومن تابعهم بإحسان من سائر قرون الخيرية وأئمة الدين العدول والسلفيون من تابعوهم على هذا الفهم إلى يومنا هذا من أهل السُّنة والجماعة .

نافذ كفُّوا، وكانوا خير الناس بشهادة القرآن ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ [آل عمران: ١١٠]، وصح الخبر عن رسول الله ﷺ «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»[(١)]، وقال عنهم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً»، وقد كان لهم أوفر الحظ والنصيب مما كان عليه رسول الله ﷺ من بركة وتوفيق وهداية وتسديد، أوتوا جوامع الكلم، وعاصروا نزول الوحي، اصطفاهم سبحانه لصحبة نبيه ﷺ، وكل صحابي أفضل من كل من جاء بعده، فلابد من الرجوع لفهمهم للكتاب والسُّنة والاسترشاد بأقوالهم، قال تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ١٠٠] لكي تتحقق فينا معاني الخير، ونستأهل التوفيق والتسديد والبركة في الخطب والوعظ والتذكير... فلابد من اتباع نهجهم.

التاسعة والثلاثون: ما يعاون الخطيب على اجتذاب النفوس إليه:

وُجد في كثير من الخطباء المسلمين صفات رفعتهم إلى أعلى المنازل عبر كل العصور، بحيث لا يدانيهم خطباء الجاهلية واليونان وغيرهم، فبالإضافة إلى فصاحة البيان وجودة النطق، وسداد الرأي، ومراعاة مقتضى الحال، وُجد فيهم من قوة الشخصية ونفوذ النفس وحلاوة الروح وما وهبهم الله من قوة التأثير مالم يتواجد لسواهم، فقد كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يسلك فجاً وطريقاً إلا سلك الشيطان فجاً وطريقاً آخر لمهابته وقوة نفسه، وقد نُصر رسول الله ﷺ بالرعب مسيرة شهر، وكذلك كان أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من المهابة ما لا تفعله السيوف، يعلم ذلك من طالع سيرة أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره، وكذلك كل من أحسن التأسِّي، فله حظه، مما كانوا عليه، ولذلك فالخطيب الإسلامي الذي يتصل بالكتاب والسُّنة ويختلط بالناس، ويتعرف على أحوالهم، ويتقن مواضع التأثير، ويتخلق بأخلاق المؤمنين فيكون حليماً متواضعاً لا يضيق صدره

---

(١) متفق عليه .

بالحق تخالط بشاشة الإيمان نفسه، ولا ينطق إلا بالحق الذي يجيش به صدره، ذليلاً على المؤمنين، عزيزاً على الكافرين، لا يتكلف ولا يتملق ولا يرائى ولا ينافق، مثل هـذا الخطيب يحبه الله، ويلقى عليه محبة الناس فيثقون به، ويصل كلامه إلى شغاف القلوب، ويكون له تأثيره في السامعين.

الأربعون: سعة وشمول الخطبة الإسلامية:

الخطبة الإسلامية تتسع باتساع هذه الدعوة لتشمل كل ناحية من نواحى الحياة، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو أخلاقية، وسواء تعلّقت بالحرب أو بالسلم، بالمسجد أو بالسوق، بالحياة الخاصة أو العامة، وقد تحدث البعض في فنون الخطابة عن الخطب السياسية والخطب النيابية والخطب الانتخابية، وخطب النوادى والمجتمعات، وخطب المؤتمرات السياسية، كما تكلموا عن سمات الخاطبة القضائية وخطب الوعظ الدينى والخطب العسكرية والمحاضرات العلمية العامة، وخطب التأبين وخطب المدح والشكر، وقسّموا الخطابة العربية من حيث تاريخها إلى خطابة في العصر الجاهلى والخطابة عند المسلمين.

ويحلو للبعض تقسيم الخطب الإسلامية إلى خطب وعظية وخطب حُكْمية أو فقهيه، وخطب سياسية واقتصادية، وأحياناً يصفها البعض بأنها حماسية أو الغرض منها الإثارة والتهييج......

وقد يحدث تفاوت في التقييم وتتداخل المعاني، فلحسم ذلك لابد من الرجوع للكتاب والسُّنة ومعرفة السُّنن الشرعية والسُّنن الكونية، وإلا فلابد من صبغ جميع نواحى الحياة بشرع الله، ولا فصل بين السياسة والاقتصاد... والحرب والسلام... وبين دين الله جل وعلا، وكما قال العلماء: الفصل بين الدين والسياسة أقصر طريق إلى الكفر، وقال تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ** ﴾ [المائدة: ١٠٠] وقال: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)** ﴾ [الأنعام: ١٦٢،

١٦٣]، ومن تتبع الخطب المأثورة عن رسول الله ﷺ والصحابة مِنْ بعده، لن يجد مثل هذه التقسيمات التي أدت إلى فصل الدين عن الدنيا في جانب، وإلى استهانة ببعض صور الخطابة كالخطب الوعظية عند قطاع المسلمين في جانب آخر.

قد يغلُب على الخطبة إثارة بواعث الجهاد في سبيل الله، أو تناول موضوع سياسى أو اقتصادى... وهذا لا يمنع أبداً من التذكير بمعانى التوحيد والاتباع، وربط الشرع بالواقع، والتخويف من عذاب الله، والتذكير بالجنة والنار والموت والقبور والآخرة، ومع حرص الخطيب على تجنب الفتن والتباعد عن الإثارة والتهييج، فاتهامه بذلك، قد يكون بغير حق، ونتيجة اعتياد سماع الخطب النمطية التي لا تحرك ساكناً، وقد يتفاوت الأمر زماناً ومكاناً وشخصاً، ويبقى الغرض من الخطبة هو إصلاح دنيا الناس بدين الله ومعالجة المشاكل قدر الاستطاعة، وسَنَذْكُرُ بإذن الله تعالى بعض الخطب المأثورة عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ وذلك في نهاية كتابنا.

واليك نماذج من خطب الجاهلين:

خطبة أبي طالب فى زواج النبي ﷺ
من السيدة خديجة « رضي الله تعالى عنها »

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً، وبيتاً محجوباً، وجعلنا الحكام على الناس، وإن محمداً بن عبد الله بن أخى لا يُوزَنُ به فتى من قريش، إلا رجحٍ به بركة وفضلاً وعدلاً ومجداً ونبلاً، وإن كان في المال مقلاً فإن المال عارية مسترجعة، وظِلٌّ زائِل، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أردتم من الصداق فعلى.

خطبة أكثم بن صيفى
في قومه عندما جاءه نبأ النبي ﷺ

رويَ في مجمع الأمثال عن ابن سلام الجمحي قال: لما ظهر النبيُّ ﷺ بمكة المكرمة، ودعا الناس إلى الإسلام، بعث أكثم بن صيفي ابنه حبشياً فأتاه بخير، فجمع

بني تميم، وقال: يا بني تميم، لا تحضروني سفيهاً، فإنه من يسمع يخل أن السفيه يوهن من فوقه، ويثبت من دونه، لا خير فيمن لا عقل له، كبرت سني، ودخلتني زلة، فإن رأيتم منّي حسناً ؛ فاقبلوه، وإن رأيتم منّي غير ذلك، فقوّموني أستقم. إن ابني شافه هذا الرجل مشافهة وأتاني بخبره، وكتابه يأمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر، ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق، ويدعو إلى توحيد الله تعالى، وخلع الأوثان، وترك الحلف بالنيران، وقد عرف ذو الرأي منكم أن الفضل فيما يدعو إليه، وأن الرأي ترك ما ينهى عنه. إن أحقَّ الناس بمعونة محمدٍ ﷺ، ومساعدته على أمره أنتم، فإن يكن الذي يدعو إليه حقاً، فهو لكم دون الناس، وإن يكن باطلاً، كنتم أحق الناس بالكف عنه، وبالستر عليه، وقد كان أسقف نجران يحدث بصفته، وكان سفيان بن مجاشع يحدث به قبله، وسمى ابنه محمداً ؛ فكونوا في أمره أولاً، ولا تكونوا آخراً، ائتوا طائعين قبل أن تأتوا كارهين. إن الذي يدعو إليه محمد ﷺ لو لم يكن ديناً لكان في أخلاق الناس حسناً، أطيعوني، واتبعوا أمري، أسأل لكم أشياء لا تنزع منكم أبداً، وأصبحتم أعز حي في العرب، وأكثرهم عدداً، وأوسعهم داراً، فإني أرى أمراً لا يجتنبه عزيز إلا ذل، ولا يلزمه ذليل إلا عزَّ. إن الأول لم يدع للآخر شيئاً، وهذا أمر له ما بعده، من سبق إليه غمر المعالي، واقتدى به التالي، والعزيمة حزم، والاختلاف عجز.

فقال مالك بن نويرة: قد خرف شيخكم ! فقال أكثم: ويل للشجي من الخلي، والهفي على أمر لم أشهده، ولم يسبقني.

خطبة لقطري بن الفجاءة الخارجي (١)

أما بعد فإني أُحذركُم من الدنيا، فإنها حلوة خضرة، حفت بالشهوات وراقت بالقليل، وتحببت بالعاجلة، وحلّيت بالآمال، وتزينت بالغرور، لا تدوم نضرتها، ولا تؤمن فجعتها، غرارة ضرارة، وحائلة زائلة، ونافذة بائدة، لا تعدو إذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها، والرضا عنها، أن تكون كما قال الله عز وجل: ﴿ كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ

---

(١) أحد خطباء الخوارج .

السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥].

مع أن أمراً لم يكن منها في حبرة [(١)]، إلا أعقبته بعدها عبرة، ولم يلق من سرَّائها بطنا، إلا منحته من ضرَّائها ظهراً، ولم تصله منها ديمة رخاء، إلا هطلت عليه مزنة بلاء. وحَرِيَّة إذا أصبحت له منتصرة أن تمسي له خاذلة متنكرة.

وإن لبس امرؤ من غضارتها ورفاهيتها نعما، أرهقته من نوائبها غماً، ولم يمس امرؤ منها في جناح أمن، إلا أصبح منها في قوادم [(٢)] خوف، غرارة غرور ما فيها ؛ فانية فانٍ من عليها، لا خير في شيء من زادها إلا التقوى، من أقل منها، استكثر مما يؤمنه، ومن استكثر منها استكثر مما يُوبقه [(٣)] كم واثق بها قد فجعته وذى طمأنينة إليها قد صرعته؛ وكم من مختال بها قد خدعته، وكم ذى أبهة قد صيرته حقيراً، وذى نخوة قد ردته ذليلاً، وذى تاج قد كبته[(٤)] لليدين والفم. سلطانها دول، وعيشتها رنق، وعذبها أجاج [(٥)]، وحلوها مر، وغذاؤها سمام [(٦)]، وأسبابها زحام، وقطافها سلع[(٧)]، حيها بعرض موت، وصحيحها بعرض سقم، ومنيعها بعرض اهتضام، مليكها مسلوب، وعزيزها مغلوب، وضعيفها وسليمها منكوب. وجامعها [(٨)] محروب، مع أن وراء ذلك سكرات الموت وزفراته، وهول المطلع، والوقوف بين يدى الحكم العدل ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، ألستم في مساكن من كان قبلكم أطول منكم أعماراً، وأوضح منكم آثاراً، وأعدعديداً، وأكثف جنوداً، وأعتد عتاداً، وأطول عماداً، تعبَّدوها أي تعبد، وآثروها أي إيثار، وظعنوا

---

(١) أثر نعمته وحسن .

(٢) قوادم الطير الريش الذى فى مقدمة والمراد هنا مظاهر الخوف .

(٣) يوبقه: يهلكه .

(٤) كبه : صرعه أو رماه فى هوة .

(٥) الماء الأجاج: الملح المر .

(٦) السمام: جمع سم .

(٧) للقطاف: اسم لما يقطف من عنب أو نحوه ، والسلع بفتح اللام شجرٌ مرٌ أو الصبر أو سم .

(٨) المحروب: المسلوب .

عنها بالكره والصغـار، فهل بلغكم أن الدنيا سمحت لهم نفساً بفدية، وأغنت عنهم مما قد أملتهم به، بل أرهقتهم بالفوادح، وضعضعتهم بالنوائب، وعفرتهم للمناخر، وأعانت عليهم ريب المنون، وقد رأيتم تنكرها لمن دان لها وآثرها، وأخلـد إليها، حتى ظعنوا عنهـا لفـراق الأبد، إلى آخـر الأمـد، هل زودتهم إلا الشقـاء، وأحلتـهم إلا الضنـك، أو نورت لهـم إلا الظلمـة، وأعقبتـهم إلا الندامـة، أفهـذه تؤثـرون. أو على هذه تحرصون، أو إليها تطمئنـون، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦)** ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

فبئست الدار لمن يتهمها. ولم يكن فيها على وجل منها، فاعلموا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لابد، فإنما هي كما نعت الله عز وجل لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد، واتعظوا فيها بالذين يبنون بكل ريع آية، وبالذين قالوا من أشدُّ منَّا قوة، واتعظوا بمن رأيتم من إخوانكم، كيف حلموا إلى قبورهم، فلا يدعون ركبـاناً، وأنزلوا، فـلا يدعـون ضيـفـانا، وجعل لهم من الضريح أكنان، ومن التراب أكفان، ومن الرفات جيران، فهم جيرة لا يجيبون داعياً، ولا يمنعون ضيما، يزارون ولا يستزارون، حلماء قد ذهبت أضغانهم، وجهلاء قد ماتت أحقادهم، لا يخشى فجعهم، ولا يرجى أضغانهم، وهم كمن لم يكن، قال الله تعالى: ﴿ **فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ** ﴾ [ص: ٥٨]، استبدلوا بظهر الأرض بطناً، وبالسعة ضيقاً، وبالآل غربـة، وبالنور ظلمة، فجاءوها حفاة عراة فرادى، وظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة إلى خلود الأبد، يقول الله تعالى وتعالى: ﴿ **كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤)** ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، فاحذروا ما حذركم الله وانتفعوا بمواعظه، واعتصموا بحبلـه، عصمنا الله وإياكم بطاعته، ورزقنا وإياكم أداء حقه.

الحادية والأربعون: التفريق بين الأسلوب الخطابي والأسلوب الكتابي:

فرَّق البعض بين الأسلوب الخطابي والأسلوب الكتابي بفروقٍ قد تصلح في بعض الفنون كالخطب القانونية وافتراقها عن المذاكرات المتعلقة بهذا الجانب، أما ما يتعلق

بالخطب الإسلامية فلا نرى وجهاً لهذه الفروق التي ذكروها وفرقوا بها بين الخطب والكتابة في هذا الجانب، فمثلاً ذكروا أن الكتابة قد تقيد بقيود المنطق ولا تشتمل على ما يثير الشعور ويوقظ الوجدان !! ولا ندرى ما قيمة الكتابة إذن، طالما أن الكلمة المكتوبة ستقع ميتة على هذا النحو، لا روح فيها ولا تأثير لها وذكروا من جملة الفروق: أن التكرار والتفنن في التعبير عن المعنى بعبارات وأساليب مختلفة وسيلة من وسائل التأثير الخطابي، يتجة إليه الخطيب فيكرر القضايا الكلية مرة مقرراً، ومرة مستفهماً، وأخرى مستنكراً ومرة متهكماً، أما الكتابة فليست كذلك !! ولا ندرى أيضاً هنا ما الذي يمنع من استخدام هذه الأساليب التلقائية المؤثِّرة أثناء الكتابة ؟! أوَلَسْنا نخاطب القلوب والعقول من خلال الكلمة المكتوبة أوليس القلب والعقل ترجماناً لما يسمع الإنسان حال الخطبة بأذنه، ولما يقرأ ويطالع بعينه والذي نميل إليه أنه لا فرق بين الأسلوب الكتابي والأسلوب الخطابي، فكلاهما لابد فيه من مراعاة حال الناس، وإيصال الحق للخلق، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم، وعدم الخروج على ماجاء في كتاب الله وسُّنة رسول الله ﷺ، وممن لم يُفرق بين الأسلوب، قدامة إذ يَعدُّ البلاغة في الكتابة والخطابة واحدة، ولكنه يتساهل مع الخطيب المرتجل، ويغفر له هنات لا يغفرها للكاتب، ويروى قول عبد الله بن الأهتم: إني لست أعجب من رجل تكلم بين قوم، فأخطأ في كلامه، أو قصر عن حجته، لأن ذا الحاجة، قد تناله الخطبة، ويدركه الحصر، ويعزب عنه القول، ولكن العجب ممن أخذ دواة وقرطاساً، وخلا بفكره وعقله، كيف يَعْزُبُ عنه باب من أبواب الكلام، يريده أوجه من وجوه المطالب يؤمه.

ويقول أبو هلال العسكري: واعلم أن الرسائل والخطب متشاكلتان في أنهما كلامٌ لا يلحقه وزنٌ ولا تقفيةٌ، وقد يتشاكلان أيضاً من جهة الألفاظ والفواصل، فألفاظ الخطباء تُشبه ألفاظَ الكتَّاب في السهولة والعذوبة، وكذا فواصل الخطب، مثل فواصل الرسالة، لا فرق بينهما، إلا أن الخطبة يشافه بها، والرسالة يكتب بها، والرسالة

تجعل خطبة، والخطبة تُجعل رسالة في أيسر كلفة. اهـ. فالكتاب قد ينبض بروح الخطبة ويكون خطابة تنقصها المشافهة، وكثير من الخطب ما يكون كتابة ينقصها القلم.

الثانية والأربعون: مجملات مهمة تتعلق بتكوين الخطبة وأدائها وصفات الخطيب:

أولاً - مما يعين على الخطابة:

وجود الفطرة المواتية والسليقة التي تلائم الخطابة، بالإضافة إلى الحرص على ذلك كمطلب شرعي لابد من قيام البعض به، ومما يُسهِّل الأمر بإذن الله، الارتياض والممارسة وقراءة كلام الفصحاء، والبلغاء ومعرفة أصول الخطابة والإطلاع على العلوم والمعارف ووجود ثروة كبيرة من الألفاظ والأساليب وضبط النفس وترويضها على احتمال المكاره.

ثانياً - تكوين الخطبة:

اكتب الموضوع الذي تريد الحديث فيه، وراجعه في مظانه ككتب التفسير والحديث والفقه والسير وانشغل به أثناء نومك، ومشيك، واذكر كل ما يتعلق به، ثم رتب الموضوع على هيئة مقدمة ثم صلب وفحوى الموضوع ثم الخاتمة، وبرهن على ما تقول بنصوص الكتاب والسُّنة وتتبع آثار السلف وأقوال الأئمة، بحيث يكون الكلام موثَّقاً، ثم انتقل من التعميم إلى التخصيص فتبدأ بالقضايا الكلية المُسلّم بها ثم تخُصُّ بعد ذلك الجزئيات بالذكر، كما صنع النبي ﷺ في خطبة الوداع عندما أسقط الربا كله ثم خص ربا العباس بالإسقاط،، وبيَّن أن دماء الجاهلية ساقطة وأول دم أسقطه ما تعلق بأقاربه وشبيه بذلك ما قاله الأحنف بن قيس في وفادته لعمر بن الخطاب: «يا أمير المؤمنين إن مفاتيح الخير بيد الله، والحرص قائد الحرمان، فاتق الله فيما لا يغنى عنك يوم القيامة قيلاً ولا قالاً، واجعل بينك وبين رعيتك من العدل والإنصاف شيئاً يكفيك وفادة الوفود واستماحة الممتاح»، واحرص على التشبيه للاستدلال وتقريب المعاني، واضرب الأمثال كما فعل عمر حين قال: أيها الناس، اتقوا الله في سريرتكم

وعلانيتكم، وأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، ولا تكونوا مثل قوم كانوا في سفينة، فأقبل أحدهم على موضعه يخرقه فنظر إليه أصحابه، فمنعوه، فقال هو موضعي ولي أن أحكم فيه، فإن أخذوا على يده سَلِمَ، وسَلِمُوا، وإن تركوه هلك، وهلكوا معه، وهذا مثل ضربته لكم، رحمنا الله وإياكم.

ثالثاً - صفات الخطيب الناجح:

الخطيب الناجح هو الذي يتصف بقوة الملاحظة وحضور البديهة وطلاقة اللسان ورباطة الجأش والقدر على مراعاة مقتضى الحال، وهناك صفات تتفاوت فيها أقدار الخطباء بمقدار ما ينالون منها مثل النفوذ وقوة الشخصية وسعة الإطلاع، وأن يكون ثقة والتجمل في ملبسه وهيئته وقوة عاطفته فإنه لا يُؤثِّر إلا المتأثر، ولا يُثير الحماسة في قلوب السامعين إلا من امتلأ حماسةً فيما يدعو إليه واعتقاداً بصدقه، لأن ما يخرج من القلب يدخل القلوب من غير استئذان، وينبغي أن يظهر في الخطيب عند الخطبة ثلاثة مظاهر:

[١] سَدَادُ الرأي.

[٢] صدق اللهجة.

[٣] التودُّد من السامعين.

والتواضع لهم وأن يكون ممن يألفون ويؤلفون، فلا يكون جافياً خشناً قاسياً كخطبة يزيد بن الوليد بن عبد الملك التي قال فيها: «أيها الناس، والله ما خرجت أشراً، ولا بطراً، ولا حرصاً على الدنيا، ولا رغبة في الملك، وما بي إطراء نفسي، وإني لظلومٌ لها، ولقد خسرت إن لم يرحمني ربي، ولكني خرجت غضباً لله ودينه، وداعياً إلى الله وسُنَّة نبيه، لما هدمت معالم الهدى، وأطفئ نور التقوى، وظهر الجبار العنيد المستحل لكل حرمة، والراكب لكل بدعة، مع أنه والله ما كان يؤمن بيوم الحساب، ولا يصدق بالثواب والعقاب، وأنه لابن عمي في النسب، وكفء في الحسب، فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره وسألته ألا يكلني إلى نفسي، ودعوت إلى ذلك من أجابني من أهل ولايتي حتى أراح الله منه العباد، وطهر منه البلاد بحول الله وقوته،

لا بحولي وقوتي» ، والخطيب الناجح هو الذي يبين المراد، ويصل إلى الغرض، ويعالج عيوب النطق والعيوب الصوتية، آخذاً بالأسباب، مستعيناً بخالق الأرض والسماوات، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، حتى لا يحيل ويغير المعاني، ويقلل التشويش على السامعين.

رابعاً - الإقناع الخطابي وطرق الاتصال بقلوب السامعين:

لحمل المخاطب على الإذعان والتسليم وإثارة عاطفته طرق كثيرة منها، الإعتقاد بصحة ما يدعو إليه وأن يحس الخطيب بإحساس الجماعة ويشعر بشعورها ليكون الحبل بينه وبينها ممدوداً، وأن يكون للخطيب نفوذ بحيث يجعله متحكماً في مشاعر من يخاطبه، عارف بمواضع اللذة والألم في المخاطبين، قال عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إن للقلوب شهوات، وإقبالاً وإدباراً، فأتوها من قبل شهواتها وإقبالها، فإن القلب إذا أكره عمى » ، وليس له أن يغفل عن بواعث الانتباه بما يدفع عن النفس السأم ويجدد نشاطها ويتم ذلك بتنويع أساليب الخطاب من استفهام إلى تقرير إلى طلب، وتغيير الصوت بحيث لا يستمر على وتيرة واحدة، وللتكرار والتوكيد أثر كبير في الاتصال بقلوب السامعين إذا استعملهما الخطيب بمهارة وفي مكانهما، بحيث يكون التكرار بعبارات وأساليب مختلفة وأن يكون فيه النظر إلى المعنى من جوانب متعددة، والخطبة المنسقة المنظمة، التي يراعى فيها الخطيب حسن الافتتاح بما يجذب الأفكار ويهيئ الأسماع لها أبلغ الأثر، إذ أن الإنطباع الأول يستقر في الوجدان ويصعب محوه، ومن ذلك التحميدات المفتتح بها أوائل السور، والإبتداءات بالنداء مثل: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ** (١) ﴾ [الحج: ١] ، وقد كان النبيُّ ﷺ يقدم بين يدَىْ حديثه بخطبة الحاجة والبعض كان يفتتح خطبته ما يشير إلى موضوعها أو بحكمة ومثل سائر أو يذكر كلام خصومه، وقد يحتاج الخطيب لاستدراج السامعين لأمر لم يألفوه أو لمعنى يعتقدون خلافه فيصنع كما صنع مؤمن آل فرعون وهو يتدرج بسامعيه ﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ** (٢٨) ﴾ [غافر: ٢٨] ، وشبيه بذلك قول إبراهيم لأبيه ﴿ **يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا**

لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم: ٤٢- ٤٥]، وقد يعمد الخطيب إلى وضعه أدلته في شكل قصصي واقعي حقيقي كما فعل الحسن لبيان معنى المساواة بين الخلق فقال: « قدم علينا بشر بن مروان أخو الخليفة، وأمير المصريين وأشب الناس، فما صرنا به إلى الجبانة فإذا نحن بأربعة سودان، يحملون صاحباً لهم، فصلوا عليه، ثم حملنا بشراً إلى قبره، وحملوا صاحبهم إلى قبره، ودفنّا بشراً، ودفنوا صحابهم، ثم انصرفوا، وانصرفنا، ثم التفتُّ التفاتةً فلم أعرف قبر بشر من قبر الحبشي، فلم أَرَ شيئاً قط كان أعجب منه » وعلى الخطيب أن يبين بطلان ما يدعيه الخصم، دون أن يحيد عن الاعتصام بآداب اللياقة وحُسن الأخلاق، وتكون الخاتمة هى آخر ما يلقيه الخطيب من خطبته فتعلق بالنفوس وتتصل بالقلوب، وقد تكون موجزاً لما ألقاه أو مثيرة للعاطفة في الأمر الذي يريده الخطيب.

خامساً - طرق أداء الخطبة:

ينبغي أن تكون ألفاظ الخطبة واضحة ومعروفة، تحدث تأثيرها في السامعين وألا تكون مبتذلة هابطة إلى درجة العامِّيَّة، وأن تكون الألفاظ الجزلة في مقامها والرقيقة كذلك، وتستخدم الألفاظ المثيرة لخيال الجماعة والتي توقظ الذكريات الحية في نفوسهم، والقرآن هو أعظم ما يدلُّك على ذلك ويورثك حسن اختيار الألفاظ والعبارات، وكيف تكون الكلمات والحروف في موضعها دون زيادة أو نُقصان.

ويَحسُنُ بالخطيب أن يتصرف في فنون القول بحيث يتعاقب على المعنى الذي يتحدث فيه صور من التعابير، من تقريرٍ إلى تعجب إلى تهكُّم إلى نفيٍ، دفعاً للسّأم والملل، كما أن حسن التآلف بين الكلمات وتنوع الأسلوب بتنوع المقامات وبتنوّع أحوال السامعين، ويدل على قوة إدراك الخطيب لواقع الحال من جهة، كما يوصل مقصود الخطبة في أكمل حال من جهة أخرى، وحسن اختيار المقاطع التي يقف عليها، وتهيئة الإنسان نفسه للوعظ والتذكير مطلوبة، إذ هو صاحب دعوة يؤرقه حال

الغربة، وما آلت إليه الأوضاع، ويريد أن يبلغ الحق للخلق حتى ينتقل من هذه الدار بسلام إلى دار السلام، فكان لابد من هذه التهيئة وخصوصاً طالماً وجدت فسحة من الوقت، وقد يكون بين قوم يتسقطون هفواته ويتتبعون سقطاته، فما الذي يمنع حينئذ من تهيئة الموضوع وإتقانه وحُسن اختيار ألفاظه بحيث يهز بها أوتار القلوب.

وقد يحتاج الخطيب إلى كتابة الخطبة وحفظها وذلك بعد الإطلاع على الموضوع ودراسته بعناية، أو يكتفي بجمع عناصره في خاطره وترتيبه بينه وبين نفسه، وقد يلقيه بالقراءة من الأوراق أو الكتب التي جمعه فيها كما يحدث في الموضوعات العلمية، وهذا لا يمنع من التدريب على الارتجال لدواعيه الكثيرة، وقد كان كل شيء للعرب بديهة وارتجالاً كما قال الجاحظ، وقد كان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر، وهم عليه أقدر وأقهر، وكل واحد في نفسه أنطق، ومكانه من البيان أرفع، وخطباؤهم أوجز والكلام عليهم أسهل وهو عليهم أيسر، ومما يعين على الارتجال سماع الخطباء المرتجلين الممتازين، وأن يأخذ نفسه بالارتجال من وقت لآخر، ويجتهد في ألا يخطب من ورق، ويستنصح رفيقاً له يدله على عيوبه وعلى الخطيب أن يجعل صوته مناسباً، لسعة المكان ولعدد السامعين، ولا يجعل صوته نمطياً على وتيرة واحدة، فالشكل الواحد للكلام يوقع السأمة في نفس السامع، فإذا استخدم الإشارات أثناء خطبته فينبغي أن تكون ملائمة للمعنى موافقة له بحيث يشعر السامعون بقوة دلالتها عليه، وإلا كانت حركات عابثة، وعلى الخطيب أن يخرج الحروف من مخارجها الصحيحة حتى لا يغير المعاني، ويتجنب اللحن، ويتحرى عدم الوقوع فيه حتى لا يشوش على السامعين، ويصور المعاني بنطقه تصويراً صادقاً، ويكون ذلك بأن يعطى كل كلمة وكل عبارة حقها، ويتمهل في إلقاءه، بحيث لا يرهق السامعين ويعطيهم الفرصة الكافية لفهم الخطبة، ولا يحدث تشويهًا للمخارج، ولا إهمالاً في الوقوف عند المقاطع الحسنة، فإن أسرع في إلقاء الخطبة فعليه أن يتجنب آفات ذلك، وتكون الحاجة داعية وخير الأمور أوسطها.

ثلاثة وأربعون: حكم الخطيب الذي لا يبين مخرجي الأحاديث ويعظ بالروايات الضعيفة:

نقل القاسمي في كتابه قواعد التحديث فتوى الإمام ابن حجر الهيثمي ما نصه: وسئل رضي الله عنه في خطيب يرقى المنبر في كل جمعة، ويروى أحاديث كثيرة، ولم يبين مُخرِّجيها، ولا رواتها، فما الذي يجب عليه؟ فأجاب بقوله: « ما ذكره من الأحاديث في خُطبه من غير أن يبين رواتها، أو من ذَكَرها، فجائز بشرط أن يكون من أهل المعرفة في الحديث أو بنقلها من مؤلفه كذلك، وأما الاعتماد في رواية الأحاديث على مجرد رؤيتها في كتاب ليس مؤلفه من أهل الحديث، أو في خطب ليس مؤلفها كذلك، فلا يحل ذلك، ومن فعله عُزِّر عليه التعزير الشديد، وهذا حال أكثر الخطباء، فإنهم بمجرد رؤيتهم خطبة فيها أحاديث حفظوها وخطبوا بها من غير أن يعرفوا أن لتلك الأحاديث أصلاً أم لا، فيجب على حكام كل بلد أن يزجروا خطباءها عن ذلك، ويجب على حكام بلد هذا الخطيب منعه من ذلك إن ارتكبه »، ثم قال: «فعلى هذا الخطيب أن يبين مستنده في روايته، فإن كان مستنداً صحيحاً، فلا اعتراض عليه، وإلا ساغ الإعتراض عليه، بل وجاز لولى الأمر – أيد الله به الدين، وقمع بعدله المعاندين – أن يعزله من وظيفة الخطابة زاجراً له عن أن يتجرأ على هذه المرتبة السنية بغير حق » اهـ ملخصاً.

ويجوز رواية الأحاديث بالمعنى لعالم لا يُحيل ولا يغير معانيها على قول جمهور العلماء، وذهب الجمهور أيضاً إلى جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال بشروط منها: أن لا يكون الضعف شديداً، وأن يندرج المروى تحت أصل معمول به ثبت بالكتاب والسُّنة، وألا يعارضه دليل أقوى منه، ورأى فريق آخر من العلماء أن الضعيف لا يجوز العمل به لا في الفضائل ولا غيرها منهم البخارى ومسلم وابن تيمية، وقد أوضح شيخ الإسلام مراده من أن الحديث الضعيف خير من الرأي، ليس المراد به الضعيف المتروك لكن المراد به الحسن، ولا ريب أن في الصحيح كفاية في الفضائل وغيرها لمن عمل به.

أربعة وأربعون: الدعوة أمانة وواجب ثقيل ولذلك كانت هذه المقدمات:

قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ۝٢ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝٥** ﴾ [المزمل:١-٥] وهذ القول الثقيل يحتاج إلى تهيئة واستعداد وزاد للطريق يتزود به الداعي ليواصل المسير إلى الله، ولذلك فهو بحاجة لقيام الليال، وأن يتخلق بالمحاسن والأخلاق الكريمة، وأن يقصد بدعوته وجه الله وتحقيق واجب العبودية، وأن لا يستنكف عن التعلُّم ممن هو دونه، وأن يحترم من له سبْق في الدعوة إلى الله ويحرص على إنزال الناس منازلهم، وأن تكون قاعدته في التعامل مع الناس أن الأصل فيهم البراءة والعدالة ﴿ **وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ** ﴾ [يوسف:٨١] وألا ينظر إلى العصاة والمذنبين نظرة البائس من إصلاحهم ﴿ **كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ** ﴾ [النساء:٩٤] ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ** ﴾ [القصص: ٥٦] وأن يتحمل الأذى ويحتسب الصعاب في سبيل الله، ولا يفكر في ردِّ الصَّاع صاعين انتقاماً لنفسه ﴿ **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ۝٤٣** ﴾ [الشورى: ٤٣].

فواجه الإساءة بالإحسان، وازهدْ فيما في أيدي الناس، وابتعد عن مزاحمتهم في الدنيا فمجتمع الإسلام مجتمع عطاء واجبات قبل أن يكون مجتمع حقوق، مجتمع هداية لا جبايه، مجتمع إيثار لا أثره، وعلى الداعي أن يفهم جيداً أن الإسلامْ ليس حكراً عليه ولا على جماعته الخاصة، فلابد من تعاون على البر والتقوى، وعليه أن يبدأ بأقرب الناس إليه، مع التركيز على العرب دون إغفال لعموم الخلق ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ۝١** ﴾ [الفرقان: ١]، وأن يأخذ بيد المدعو برفق ومن حيث انتهى فهْم المدعو، وليس من حيث انتهى فهْم الداعى نفسه، وأن يفرق بين الإسلام كدين وبين المسلمين كواقع، فالإسلام منزَّه، أما المسلمون فقد يطرأ عليهم الانحراف والتقصير في حق دينهم وأنفسهم كما هو مشاهد، وليس للداعي أن يستهين بكلمة طيبة، فللقلوب مفاتيح لا يعلمها إلا الله، كما ينبغي أن يسع بدعوته الجميع الكبار، والصغار، الرجال والنساء، فأطفال اليوم هم رجال الغد، والنساء شقائق الرجال في الأحكام، وألا يسفه طاعة قام بها الآخرون، ولا يكلفهم ما

لا يطيقوه، وأن يعلم أن القلوب جبلت على حُبٍّ من أَحْسَنَ إليها وبُغْضٍ من أساء إليها، فلا بأس بتألف القلوب بإهداء المدعوين بعض الهدايا كالكتب النافعة، وليحذر القطع بالخواتيم، إلا إذا قطع الشرع بذلك، فيكون داعياً لا قاضياً، ولتكن مهمتة التذْكرة، ﴿ **فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ (٢٢)** ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢]، وتذكر في مواطن الخلاف مع إخوانك أن معك صوابًا يحتمل الخطأ ومع أخيك خطأ يحتمل الصواب، فكن هيناً ليناً سهلاً ذلولاً منقاداً، تألف وتؤلف فلا خير فيمن لا يألف ولا يُؤْلَف، وكرر الدعوة فإنك لا تدري متى الاستجابة وثق في نصرة الله وأن الدعوة ستنتصر فلا تخشَ على الدعوة من الضياعِ فالله حافظها ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر: ٩]، ولكن اخش على نفسك من ألا تلحق بركب أصحاب الدعوات، فالدعوة إن لم تكن بك فبغيرك، وإذا رأيت أهل المعاصي فقل: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ** ﴾ [الأعراف: ٤٤]، وإذا رأيت أهل البلاء فاسأل الله العافية، وقل الحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به غيرنا.

وبعد أن ذكرنا هذه المقدمات نشرع في ذكر بعض التنبيهات الهامة المتعلقة بالموضوعات المختلفة، لتكون عوناً للخطباء والوعاظ على تأدية هذه المهمة وتيسيراً لهم في إبلاغهم الحق للخلق وتذكيرهم الدنيا بدين الله. وهذا أوان الشروع في المقصود، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

خمسة وأربعون: كلام نفيس للألباني يتعلق بخطبة الحاجة:[1]

قال الألباني في خاتمة كتابه « خطبة الحاجة » ما نصه:

قد تبين لنا من مجموع الأحاديث المتقدمة، أن هذه الخطبة تفتتح بها جميع الخطب، سواء كانت خطبة نكاح، أو خطبة جمعة، أو غيرها، فليست خاصة بالنكاح[2]

---

(١) وهي المذكورة في بداية الكتاب « إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ... ثم التشهد ، ثم الآيات الثلاث حتى « أما بعد » ثم يذكر حاجته .

(٢) **تنبيه:** وأما الحديث الذي رواه إسماعيل بن إبراهيم عن رجل من بني سليم قال : خطبت إلى النبي ﷺ أُمامة بنت عبد المطلب فأنكحني من غير أن يتشهد ، أخرجه أبو داود والبيهقي ؛ فهو ضعيف من أجل إسماعيل هذا فإنه مجهول كما في « التقريب » ، ثم إنه قد اضطرب عليه فيه كما بين البيهقي وغيره ، ولو صحَّ لدل على جواز الترك أحياناً ، لا على عدم المشروعية مطلقاً .

كما قد يُظن وفي بعض طرق حديث ابن مسعود التصريح بذلك كما تقدم، وقد أيَّدَ ذلك عمل السلف الصالح، فكانوا يفتتحون كُتُبَهُم بهذه الخطبة، كما صنع الإمام أبو جعفر الطحاوى رحمه الله حيث قال في مقدمة كتابه «مشكل الآثار»:

« وأبتدئ بما أمر ﷺ بابتداء الحاجة، مما قد روى عنه بأسانيد أذكرها بعد ذلك إن شاء الله: إن الحمد لله... ».

قلت: فذكرها بتمامها.

وقد جرى على هذا النهج شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله، فهو يكثر من ذلك في مؤلفاته، كما لا يخفي على من له عناية بها، وقد قال المحقق السندي في « حاشيته على النسائي » في شرح قوله في الحديث: «والتشهد في الحاجة ».

« الظاهر عموم الحاجة للنكاح وغيره، ويؤيده بعض الراويات، فينبغي أن يأتي الإنسان بهذا، يستعين به على قضائها، وتمامها، ولذلك قال الشافعى: الخطبة سُنَّة في أول العقود كلها، قبل البيع والنكاح وغيرها، و « الحاجة » إشارة إليها، ويحتمل أن المراد بـ« الحاجة » النكاح إذ هو الذي تعارف فيه الخطبة دون سائر الحاجات ».

وكذا في « حاشيته على ابن ماجه ».

قلت: هذا الاحتمال الثاني ضعيف، بل باطل لثبوت ذلك عن النبي ﷺ في غير النكاح، كما في قصة ضِماد في حديث ابن عباس، وكما في حديث جابر، فتنبه.

لكن القول بمشروعية هذه الخطبة في البيع ونحوه، كإجارة ونحوها فيه نظر بين، ذلك لأنه مبنى على القول بوجوب الإيجاب والقبول فيها، وهو غير مُسلَّم، بل هو أمرٌ محْدَثٌ، لأن الناس من لدن النبي ﷺ وإلى يومنا هذا مازالوا يتعاقدون في هذه الأشياء بلا لفظ، بل بالفعل الدال على المقصود [1]، فبالأحْرَى أن تكون الخطبة فيها بدعة وأمراً

---

(١) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فى فصل له عَقَدَهُ لبيان قاعدة عظيمة المنفعة – كما قال هو نفسه – حول هذه المسألة وهى الإيجاب والقبول فى العقود، وفى المعاطاة فيها، ذهب فيه إلى: أنه لا يتقيد فيها بلفظ معين، بل هذا من البدع، وأنها تصح بأى لفظ، وبالفعل الدال على المقصود، واحتج على ذلك بالكتاب والسُّنة واللغة وفى تضاعيف ذلك من الفوائد والتحقيقات ما لا تقف عليها عند غيره فانظر «الفتاوى» (٣ / ٢٦٧، ٢٧٤).

مُحدثاً. وبيوعه ﷺ وعقوده التي وردت في كتب السُّنة المطهرة من الكثرة والشُّهْرة بحيث يغني ذلك عن نقل بعضها في هذه العجالة، وليس في شيء منها الإيجاب والقبول.

أقول هذا مع احترامي للأئمة، واتباعي إياهم على هداهم، بل أعتبر أن تصريحي هذا هو من الإتباع لهم، لأنهم رحمهم الله هم الذين علمونا حرية الرأي والصراحة في القول، حتى نهونا عن تقليدهم (١)؛ لأنهم كما قال الإمام مالك رحمه الله: «ما منَّا من أحد إلا رَدَّ أو رُدَّ عليه إلا صاحب هذا القبر» فجزاهم الله تعالى عنا خيراً.

أقول: إن القصد من جمع هذه الرسالة، هو نشر هذه السُّنة التي كاد الناس أن يُطبقوا على تركها، فألفت أنظار الخطباء والوعاظ والمدرسين وغيرهم إلى ضرورة حفظهم لها، وافتتاحهم خطبهم ومقالاتهم ودروسهم بها، عسى الله تعالى أن يحقق أغراضهم بسببها، وقد قال ﷺ: **«من سَنَّ في الإسلام سُنة حسنةً فعُمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سُنة سيئة فعُمِل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء»** (٢).

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) وقد أوردتُ نصوصَهُم في ذلك في مقدمة كتابي « صفة صلاة النبي ﷺ » وقد تم ما حقق الله الرجاء، فقد طبع حتى الآن مرات متعددة في المكتب الإسلامي واختصر وترجم أيضاً ولله الحمد والمنة.

(٢) رواه مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

بعض الافتتاحيات للخطب

احرص في صدر خطبتك على البسملة «بسم الله» والحمد لله «الحمد لله» والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ» ، وعلى التشهد «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله» ، وقد ذكرنا مشروعية خطبة الحاجة، فاحرص عليها، وسأذكر لك بإذن الله بعض إفتتاحيات الثناء على الله سبحانه، وعلى رسوله ﷺ، فقد تحتاج إلى ذكر ما يتناسب منها مع خطبتك، وهي مختصر من كتاب التبصرة لابن الجوزي، وقد جاءت موزونة في معظمها.

[١] الحمد لله الملك الجليل، المنزَّه عن النَّظير والعديل، المُنعم بقبول القليل، المتكرم بإعطاء الجزيل، تقدس عما يقول أهل التعطيل، وتعالى عما يعتقد أهل التمثيل، نصب للعقل على وجوده أوضح دليل، وهدى إلى وجوده أبْين سبيل، وجعل للحسن خطاً إلى مثْله يميل، فأمر ببناء بيتٍ وجلّ عن السُّكنى الجيل ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، ثم حماه لما قصده أصحاب الفيل، فأرسل عليهم حجارة من سجيل، أحمده كلما نُطق بحمده وقِيل، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنزه عن ما عنه قيل، وأصلي على نبيه محمد النبي النبيل، وعلى أبي بكر الصديق الذي لا يُبغضه إلا ثقيل، وعلى عمر وفضلُ عمر فضل طويل، وعلى عثمان وكم لعثمان من فعل جميل، وعلى عليّ، وجَحْد قدْر عليّ تغفيل، وعلى عمه العباس المستسقى بشيبته، فإذا السُّحب تسيل.

[٢] الحمد لله الذي أنشأ وبرا، وخلق الماء والثرَى، وأبدع كل شيء ذرا، لا يغيب عن بصره دبيبُ النمل في الليل إذا سرى، ولا يَعْزب عن علمه ما عنَّ وما طرَا، اصطفي آدم ثم عفا عما جرى، وابتعث نوحاً فبنى الفُلك وسرى، ونجّى الخليل من النار فصار حرُّها ثرى، ثم ابتلاه بذبح الولد فأدهش بصبره الورى، ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢].

أحمده ما قُطع نهارٌ بسير وليلُ بسُرَى، وأصلي على رسوله محمد المبعوث في أم القرى، وعلى أبي بكر صاحبه في الدار والغار بلا مِرا، وعلى عمر المحدَّث عن سِرّه، فهو بنور الله يرى، وعلى عثمان زوج ابنته ما كان حديثاً يُفترى، وعلى عليّ بحر العلوم وأسد الثرى، وعلى عمه العباس الرفيع القدر الشامخ الذُّرى.

[٣] الحمد لله عالم السر والجهر، وقاصم الجبابرة بالعز والقهر، مُحْص قطرات الماء وهو يجرى في النهر، فضّل بعض المخلوقات على بعض حتى أوقات الدهر ﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾**﴾ [القدر: ٣]، فهو المتفرد بإيجاد خلقه، المتوحد بإدرار رزقه، القديم فالسَّبق لسَبْقَه، الكريم فما قام مخلوقٌ بحقه، عالم بسر العبد وسامع نطقه، ومقدر علمه وعَمله وعُمره وفعله وخَلْقه، ومجازيه على عيبه وذنبه وكذبه وصدقه، المالك القهار فالكل في أسْر رِقّه، الحليم الستار، فالخلق في ظل رِفْقه، أرسل السحاب تُخاف صواعقه، ويُطمع في وَدْقه، يزعج القلوب رواعده، ويكاد سنا برقه، جعل الشمس سراجاً، والقمر نوراً بين غربه وشرقه.

أحمده على الهدى وتسهيل طرقه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في رتقْه وفتقه، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله والضلال عامٌ فمحاه بمحقه ﷺ وعلى آله وصحابه أبي بكر السابق بِصدقه، وعلى عمر كاسر كِسْرى بتدبيره وحِذْقه، وعلى عثمان جامع القرآن بعد تبديده في رَقّه، وعلى عليّ واعذرونا في عشقه، وعلى عمه العباس مشاركة في أصله وعرقه.

[٤] الحمد لله خالق الدُّجى والصباح ومُسبِّب الهدى والصلاح، ومقدِّر الغُموم والأفراح، عز فارتفع، وفرَّق وجمع، ووصل وقطع، وحرَّم وأباح، ملك وقدَّر، وطوى ونشر، وخلق البشر وفطر الأشباح، رفع السماء وأنزل الماء وعلَّم آدم الأسماء، وذرى الرياح، أعطى ومنح، وأنعم ومدح، وعفا عمن اجترح وداوى الجراح، علم ما كان ويكون، وخلق الحركة والسكون، وإليه الرجوع والركون في الغد والرواح، يتصرف في الطول والعرض، وينْصب ميزان العدل يوم العرض ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ**

كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥]، أحمده وأستعينه، وأتوكل عليه وأسأله التوفيق لعمل يقرب إليه، وأشهد بوحدانيته عن أدلة صحَاح، وأن محمداً عبده المقدم ورسوله المعظم، وحبيبه المكرم، تفديه الأرواح ﷺ، وعلى أبي بكر رفيقه في الغار، وعلى عمر فتّاح الأمصار، وعلى عثمان شهيد الدار، وعلى عليّ الذي يفتك رُعْبُه قبل لبس السلاح وعلى العباس عمه صِنْو أبيه أقرب من في نسبه يليه.

[٥] أحمده على نعَمٍ لا تُحصى عدداً، وما أقضى بالحمد حقاً، وأشكره ولم يزل للشكر مُستحقاً، وأشهد أنه المالك للرقاب كلها رقاً، كوَّن الأشياء وأحْكمها خَلْقاً، وفتق السماء والأرض وكانتا رتَقَاً، وقسم العباد فأسعد وأشقى ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف الخلائق خلقاً وخُلقاً ﷺ وعلى صاحبه أبي بكر الصديق الذي حاز كل الفضائل سبقاً ويكفيه ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧)﴾ [الليل: ١٧]، وعلى عمر العادل فيما يُجابي خلقاً، وعلى عثمان الذي استسلم للشهادة، فما يتقى، وعلى عليّ بائع ما يفنى ومشتري ما يبقى، وعلى عمه العباس صِنْو أبيه حقاً.

[٦] الحمد لله أحق من شُكر وأولى من حُمد، وأكرم من تفضل، وأرحم من قُصد، المعروف بالدليل وبالدليل عُبد القديم[١] لم يولَد ولم يَلدْ، أحاط به علماً بالمعلومات وحَواها، وأنشأ المخلوقات بالقدرة وبناها وأظهر الحكَم في الموجودات إذ براها ومن يتلمح حكمها لما رآها فلينظر بالفهم، وليتفقد تعرَّف إلى خلقه بالبراهين الظاهرة، وأظهر في مصنوعاته العجائب الباهرة، وتفردّ في ملكه بالقُدرة القاهرة، ووعد المتقين الفوز في الآخرة، فالبشرى للموعود بما وعد، تعالى أن يُشبه ما صنعه،وأن يقاسى بما جمعه، سبحانه لا وزير له ولا شريك معه، نادى موسى ليلة الطُّور فأسمعه، فاعلم هذا واعتقد وتمسك بالكتاب والسُّنة ولا تمل عنهما، وسلّم إليهما وتسلَّم العِلْمَ منهما ولا تنطق برأيك وظنك فيهما هذا مذهب أهل السُّنة لا تنْقص ولا تَزد، أحمَده حمداً إذا قيل صعد، وأُصلي على رسوله محمد خير مولود وُلد.

---

(١) الأوْلى أن يقال « الأول » للحديث « أنت الأول فليس قبلك شيء » .

[٧] الحمد لله الواحد، العزيز العظيم الشاهد، سامع ذكر الذاكر وحمد الحامد، وعالم ضمير العبد ونية القاصد، لعظمته خضع الراكع وذلَّ الساجد، وبهداه اهتدى الطالب وأدرك الواَجد، رفع السماء فعلاّها ولم يحتجْ إلى مساعد، وألقى في الأرض رواسي راسخات القواعد، تنزّه عن شريك مُشاقق أو ندّ معاند، وعزَّ عن ولد وجلَّ عن والد، وأحاط علماً بالأسرار والعقائد، وأبصر حتى دبيب النمل في الجلامد، وسطاً فسالت لهيبته صعاب الجوامد، ويقول في الليل هل من سائل، فانتبه ياراقد بنى بيتاً أمر بقصده وتلقى الوافد، وأقسم على وحدانيته وما ينكر إلاّ معاند ﴿ **وَالصَّافَّاتِ صَفًّا** ① **فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا** ② **فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا** ③ **إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ** ④ ﴾ [الصافات:١-٤].

أحمده على الرخاء والشدائد وأقر بتوحيده إقرار عابد، وأصلى على رسوله الذي كان لا يخيّب السائل القاصد.

[٨] الحمد لله الذي بيده الإيجاد والإنشاء والإماتة والإحياء، والإعادة، والإنعام والآلاء والعافية والبلاء، والداء والدواء، خلق آدم وخُلقَتَ لأجله الأشياء، وبثَّ من نَسْله الرجال والنساء، فمنهم العالم الذاكر، ومنهم الجاهل النسَّاء، وأكثرهم الغافلون وأقلُّهم الألبّاء، وليست زرقاء اليمامة كالأعشى، ولا النهار كالليل إذ يغشى ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: ٢٨]، أحمد له بتوفيقي لحمده الآلاء، وأقر بأنه مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، وأُصلّي على رسوله محمد أشرف راكب حوْته البيْداء، وعلى صاحبه أبي بكر لصديق مُصاحبه إن وقعت الشدة أو الرخاء، وعلى عمر الفاروق الذي دوَّخ الكفر فذلّت له الأعداء، وعلى عثمان الصابر وقد اشتد به البلاء، وعلى عليّ الذي حصَل له دون الكل الإخاء، وعلى عمه العباس الذي سألت الصحابة به الغيث فسالت السماء.

ويسعك أن تبدأ خطبتك بقولك:

- الحمد لله وكفي وسلام على عباده الذين اصطفي، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:
- الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آلـه وصحـبه ومن والاه، أما بعد:

- الحمد لله الذي لا أوّل لوجوده، ولا آخر لجوده، وصلى الله على خير مبعوث بشرائعه وحدوده، وعلى الصحابة وأزواجه وجنوده، وسلّم تسليماً كثيراً.

- الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، والشكر له على ما أولى من نعمٍ سائغةٍ وأسدى، نحمده سبحانه وهو الولى الحميد ونتوب إليه جل شأنه، وهو التواب الرشيد. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نستجلب بها نعمه، ونستدفع بها نقمه، وندخرها عُدَّة لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، صلَّى الله عليه وعلى آله نجوم المهتدين، ورجوم المعتدين، ورضي الله عن صحابته الأبرار الذي قاموا بحق صحبته، وحفظ شريعته، وتبليغ دينه إلى سائر أمته، وكانوا خير أمة أخرجت للناس.

- الحمد لله المتفرد بوحدانية الألوهية المتعزز بعظمة الربوبية، القائم على نفوس العالم بآجالها، والعالم بتقلُّبها وأحوالها، المانّ عليهم بتواتر آلائه، المتفضل عليهم بسوابغ نعمائه، الذي أنشأ الخلق حين أراد، بلا معين ولا مُشير وخلق البشر كما أراد بلا شبيه، ولا نظير، فمضت فيهم بقدرته مشيئتُه، ونفذت فيهم بعزته إرادتُه، فألهمهم حسن الإطلاق وركب فيهم تشعب الأخلاق فهم على طبقات أقدارهم يمشون، وعلى تشعب أخلاقهم يدورون، وفيما قضى وقدَّر عليهم يهيمون ﴿ **وَكُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾ [المؤمنون: ٥٣]. وأشهد أن لا إله إلا الله، فاطر السموات والعلا، ومنشئُ الأرضين والثرى، ولا مُعقِّب لحكمه ولا رادَّ لقضائه، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون. وأشهد أن محمداً عبده المجتبي ورسوله المرتضى، بعثه بالنور المُضيّ والأمر المُرضيّ على حين فترة من الرسل ودروس من السبل، فدمغ به الطغيان، وأكمل به الإيمان، وأظهره على كل الأديان، وقَمَعَ به أهل الأوثان، فصلى الله عليه وسلم ما دار في السماء فَلَكٌ، وما سبّح في الملكوت ملك وعلى آله أجمعين.

■ الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، وجعل أُمَّتنا ولله الحمد خير أمة، وبعث فينا رسولاً منا يتلو علينا آياته ويزكّينا، ويعلمنا الكتاب والحكمة. أحمده على نِعَمه الجمَّة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تكون لمن اعتصم بِهاَ خير عِصْمَة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله للعالمين رحمة، وفرض عليه بيان ما أنزل إلينا، فأوضح لنا كل الأمور المهمة، وخصه بجوامع الكَلِم فربما جمع أشتات الحِكَم والعلوم في كلمة أو شطر كلمة، فصلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة تكون لنا نوراً من كل ظلمة وسلم تسليما.

وأنت إذا طالعت كتب أهل العلم وجدت افتتاحيات الثناء على الله وعلى رسوله ﷺ وعلى الصحابة ومن تبعهم بإحسان فتخير منها ماشئت، ويسعك أن تبدأ حديثك بما يجتمع عليه قلبك ولسانك من المعاني الصحيحة دون أن تُنسب لتكلُّف السجع المذموم.

ستة وأربعون: أدعية جامعة نافعة للخطيب والمستمعين:

قال النووي في كتاب الأذكار ما نصه:

اعلم أن غرضنا بهذا الكتاب ذكر دعوات مهمة مستحبة في جميع الأوقات غير مختصة بوقت أو حال خصوص.

واعلم أن هذا الباب واسع جداً، لا يمكن استقصاؤه ولا الإحاطة بمعشاره، لكنى أشير إلى أهم المهم من عيونه، فأول ذلك الدعوات المذكورات في القرآن الكريم التي أخبر الله سبحانه وتعالى بها عن الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم وعن الأخيار وهى كثيرة معروفة (١)، ومن ذلك ما صح عن رسول الله ﷺ أنه فعله أو علمه غيره، وهذا القسم كثير جداً تقدم جمل منه في الأبواب السابقة، وأنا أذكر منه هنا جملاً صحيحة تضمُّ إلى أدعية القرآن وما سبق، وبالله التوفيق.

- روينا بالأسانيد الصحيحة في سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**»، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.
- وروينا في سنن أبي داود بإسناد جيد عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك».
- وروينا في كتاب الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء**»(٢).
- وروينا في كتاب الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سرَّه**(٣) **أن**

---

(١) سأذكر لك ـ بإذن الله ـ بعض أدعية القرآن الكريم تتمة للفائدة، واحرص على استخدم صيغة الجمع أثناء دعائك فى الخطبة.

(٢) حديث حسن.

(٣) **سره**: أى أعجبه وأوقعه فى الفرح والسرور، وأن يستجيب الله فاعل سره، ومفعول يستجيبِ محذوف: أي دعاءه، وقوله عند الشدائد ظرف للاستجابة: أيِ حصول الأمور الشديدة من المكروهات والكرب بضم ففتح جمع كربة، وهى الغم يأخذ بالنفس، وكذا الكرب بفتح فسكون كما في الصحاح، وقوله: «فليكثر الدعاء» إلخ، جواب الشرط والرخاء بفتح المهملة وبالمعجمة ممدود حال سعة العيش وحسن الحال، وإنما كان كذلك لأن إكثاره في وقت الرخاء يدل على صدق العبد في عبوديته والتجائه إلى ربه في جميع أحواله، وأنه يشكره في الرخاء كما يشكره فى الشدة ويتوجه إليه بكليته ليكون له عدة وأي عدة، فلذا استجيب أدعيته إذا حق اضطراره وتوالتِ النعم عليه وسبقت النجاة إليه، وأما من يغفل عن موالاه في حال رخائه ولم يلتجئ إليه حينئذ بقوة توجّهه ورجائه، فهو عبد نفسه وهواه البعيد عن بابه الحقيقى.

يستجيب الله تعالى له عند الشدائد والكُرَب فليُكْثِر الدعاء في الرخاء»[١].

- وروينا في صحيحي البخاري ومسلم أن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «**اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»، زاد مسلم في روايته قال: وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، فإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه.
- وروينا في صحيح مسلم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أسألك الهدى والتُّقَى والعفاف والغنى**».
- وروينا في صحيح مسلم عن طارق بن أشيم الأشجعي الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان الرجل إذا أسلم علَّمَه النبي ﷺ الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهذه الكلمات: «**اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني**»، وفي رواية أخرى لمسلم عن طارق أنه سمع النبي ﷺ وأتاه رجل فقال: يا رسول الله.. كيف أقول حين أسأل ربي؟ قال: قل «**اللهم اغفر لي وارحمني وعافني وارزقني، فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك**».
- وروينا فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم يا مُصَرِّف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك**».
- وروينا فيه عن عمران بن الحصين رضى الله عنهما أن النبي ﷺ علّم أبا حصيناً كلمتين يدعو بهما: «**اللهم ألهمني رشدى وأعذنى من شر نفسي**»، قال الترمذي: حديث حسن.
- وروينا فيهما بإسناد ضعيف عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم أنى أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق**».
- وروينا في كتاب الترمذي عن شهر بن حوشب قال: قلت لأم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا أم المؤمنين... ما أكثر دعاء رسول الله إذا كان عندك ؟ قالت: كان أكثر دعائه: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» قال الترمذي: حديث حسن.

---

(١) حديث حسن .

■ وروينا في كتاب الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم عافني في جسدي وعافني في بصري، واجعله الوارث مني، لا إله إلا أنت الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين**».

■ وروينا فيه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كان من دعاء داوود صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يُبلّغني حُبَّك، اللهم اجعل حُبَّك أحب إليّ من نفسي، وأهلي ومن الماء البارد**» قال الترمذي: حديث حسن.

■ وروينا فيه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**دعوة ذي النون إذا دعا ربه وهو في بطن الحوت: ﴿لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾** [الأنبياء: ٨٧]، **فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب له**»، قال الحاكم أبو عبد الله: هذا صحيح الإسناد.

■ وروينا فيه وفي كتاب ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله... أي الدعاء أفضل ؟ قال: «**سل ربك العافية، والمعافاة في الدنيا والآخرة**»، ثم أتاه في اليوم الثاني فقال: يا رسول الله... أي الدعاء أفضل ؟ فقال له مثل ذلك، ثم أتاه في اليوم الثالث، فقال له مثل ذلك، قال: «**فإذا أعطيت العافية في الدنيا وأعطيتها في الآخرة فقد أفلحت**» قال الترمذي: حديث حسن.

■ وروينا في كتاب الترمذي عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله... علمني شيئاً أسأله الله تعالى، قال: «**سلوا الله العافية**»، فمكثت أياماً ثم جئت فقلت: يا رسول الله... علمني شيئاً أسأله الله تعالى، فقال: «**يا عباس يا عم رسول الله، سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة**» قال الترمذي: هذا حديث صحيح.

■ وروينا فيه عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ بدعاءٍ كثيرٍ لم نحفظ منه شيئاً، قلت: يا رسول الله... دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئاً، فقال: «**ألا**

أدُلُّكم ما يجمع ذلك كله ؟، تقول: **اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه نبيك محمد ﷺ ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد ﷺ، وأنت المستعان وعليك البلاغ، ولا حول ولا قوة إلا بالله»** قال الترمذي: حديث حسن.

- وروينا فيه عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلِظّو بيا ذا الجلال والإكرام**».

- وروينا في كتاب النسائي من رواية ربيعة بن عامر الصحابي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد، قلت: أَلِظّوا بكسر اللام وتشديد الظاء المعجمة، ومعناه: الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها.

- وروينا في سنن أبي داوود والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كان النبي ﷺ يدعوا ويقول: «**رب أعنّي ولا تعن عليّ، وانصرني ولا تنصر عليّ، وامكر لي[١] ولا تمكر عليّ، ويسر هداي وانصرني على من بغى عليّ، رب اجعلني لك شاكراً، لك ذاكراً، لك راهباً، لك مطواعاً، إليك مجيباً - أو منيباً - تقبل توبتي واغسل حوبتي[٢]، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، واهدِ قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة قلبي**» وفي رواية الترمذي « أواهاً منيباً » قال الترمذي: حديث حسن صحيح. قلت: السخيمة بفتح السين المهملة وكسر الخاء المعجمة، وهى الحقد وجمعها سخائم، هذا معنى السخيمة هنا، وفي حديث آخر «**من سل سخيمته في طريق المسلمين فعليه لعنة الله**»، والمراد بها الغائط.

- وروينا في مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وسنن ابن ماجه عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال لها: «**قولى اللهم إني أسألك من الخير كُلِّه، عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم، وأسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قول أو عمل، وأسألك خير ما سألك به عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأعوذ بك من شرِّ ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد**

(١) أى أوقع البلاء بالأعداء، من حيث لا يشعرون.
(٢) أى إثمى.

ﷺ، **وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشداً»** قال الحاكم أبو عبد الله: هذا حديث صحيح الإسناد.

ووجدتُ في المستدرك للحاكم:

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: «**اللهم إنَّا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة والنجاة من النار**»، قال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم.
- وفيه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: واذنوباه واذنوباه، مرتين أو ثلاثاً، فقال له رسول الله ﷺ: «**قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي**(١) **ورحمتك أرجى عندي من عملي**»(٢) فقالها، ثم قال: «**عد**» فعاد، ثم قال: «**عد**» فعاد، فقال: «**قم فقد غفر الله لك**».
- وفيه عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «**إن لله تعالى ملكاً موكلاً بمن يقول يا أرحم الراحمين، فمن قالها ثلاثاً قال له الملك: أن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل**»(٣).
- روينا في صحيحيهما عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**»، **وفي رواية «وضلع الدين وغلبة الرجال»**، قلت: ضلع الدين: شدته وثقله وحمله، والمحيا والممات: الحياة والموت.

---

(١) **مغفرتك أوسع من ذنوبي:** أي أن ذنوبي وإن عظمت فمغفرتك أعظم منها، وما أحسن قول الإمام الشافعي:

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وقال الشرف البوصيري:

يا نفس لا تقنطي من زلة عظمت ... إن الكبائر في الغفران كاللمم

لعل رحمة ربي حين يقسمها ... تأتي على حسب العصيان في القسم

(٢) ورحمتك أرجى عندي من عملي: أي تعلقي برحمتك وإحسانك أشد عندي من تعلقي بعملي من الرجاء والتعلق به، لأن العمل لا ينفع صاحبه إلا برحمة الله كما قال ﷺ: «**لن يدخل أحدكم الجنة بعمله**»، قالوا: ولا أنت يارسول؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته**».

(٣) وفي إسناده ضعف.

■ وروينا في صحيحيهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: علِّمْني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: «**قل اللهمّ إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**» قلت: روى كثيراً بالمثلثة، وكبيراً بالموحدة،قد قدمنا بيانه في أذكار الصلاة، فيستحب أن يقول الداعي كثيراً كبيراً يجمع بينهما، وهذا الدعاء وإن كان ورد في الصلاة فهو حسن نفيس صحيح فيستحب في كل موطن، وقد جاء في رواية «**وفي بيتى**».

■ وروينا في صحيحيهما عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يدعوا بهذا الدعاء: «**اللهم اغفر لى خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمرى، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفرى لى جدى وهزلى وخطئى وعمدى وكل ذلك عندى، اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير**».

■ وروينا في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «**اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل**».

■ وروينا في صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك مس زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك**».

■ وروينا في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهم وعذاب القبر، اللهم آت نفسي تقواها، وزكها**(١) **أنت خير من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها**».

---

(٢) زكها: أى طهرها من الذنب، ونقها من العيب.

■ في صحيح مسلم عن عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قل اللهم اهدني وسددني**» وفي رواية « **اللهم إني أسألك الهدى والسداد** ».

■ وروينا في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال له: يا رسول الله علمني كلاماً أقوله، قال: «**قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، سبحان الله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم**» قال: فهؤلاء لربي فما لي ؟ قال: «**قل اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني وعافني**» شك الراوي في عافني.

■ وروينا في صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم أصْلِحْ لي ديني الذي هو عصمة أمري** (١) ، **وأصلح لي دنياي**(٢) **التي فيها معاشي وأصْلِحْ لي آخرتي**(٣) **التي فيها معادي، واجعل الحياة**(٤) **زيادة لي في كل خير**(٥)، **واجعل الموت**(٦) **راحة لي من كل شر**».

■ وروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللهم لك أسلمت، وبك آمنتُ، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**».

■ وروينا في سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن بريدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن

---

(١) الذى هو عصمة أمرى : أى ما اعتصم به فى جميع أمورى ، والعصمة على ما فى الصحاح : المنع والحفظ، فقيل هو هنا مصدر بمعنى اسم الفاعل ، قال الطيبى : هو أى الحديث من قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [آل عمران ١٠٣] أى بعهده .

(٢) وأصلح لى دنياى: إصلاح الدنيا عبارة عن الكفاف فيما يحتاج إليه ، وبأن يكون حلالاً ومعيناً على الطاعة والمعاش ، أى مكان العيش وزمان الحياة .

(٣) وأصلح لى آخرتى : إصلاحها باللطف ، والتوفيق لطاعة الله وعبادته ، والمعاد مصدر ميمى أو اسم مكان : من عاد إذا رجع .

(٤) واجعل الحياة : أى طول العمر .

(٥) زيادة لى فى كل خير : أى إتقان العلم وإتقان العمل .

(٦) واجعل الموت : أى تعجيله راحة لى من كل شر : أى من الفتن والمحن والإبتلاء بالمعصية والغفلة .

رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: «اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كُفُواً أحد، فقال ﷺ: **«لقد سألتَ اللهَ تعالى بالاسم الذي إذا سُئِل به أعطى، وإذا دُعِيَ به أجاب»**، وفي رواية: **«لقد سألت الله باسمه الأعظم»** قال الترمذي: حديث حسن.

- وروينا في سنن أبي داوود والنسائي عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً ورجل يصلي ثم دعا: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: **«لقد دعا الله تعالى باسمه العظيم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى»**.

- وروينا في سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه بالأسانيد الصحيحة عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: **«اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار، ومن شر الغنى والفقر»** هذا لفظ أبي داود، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

- وروينا في كتاب الترمذي عن زياد بن علاقة عن عمه، وهو قطبة بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان النبي ﷺ يقول: **«اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء»** قال الترمذي: حديث حسن.

- وروينا في سنن أبي داود والترمذي والنسائي عن شكل بن حميد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وهو بفتح الشين المعجمة والكاف - قال: قلت يا رسول الله، علّمني دعاء، قال: **«قل اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي، ومن شرِّ بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبي، ومن شر منيي»** قال الترمذي: حديث حسن.

- وروينا في كتابي أبي داود والنسائي بإسنادين صحيحين عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان يقول: **«اللهم إني أعوذ بك من البرص والجنون والجذام وسيئ الأسقام»**.

- وروينا فيهما عن أبي اليسر الصحابي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وهو بفتح الياء المثناه تحت والسين

المهملة – أن رسول الله ﷺ كان يدعو «**اللهم إني أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردى، وأعوذ بك من الغرق والحرق والهرم، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبراً، وأعوذ بك أن أموت لديغاً**» هذا لخط أبي داود، وفي رواية له «**والغم**».

- وروينا فيهما بالإسناد الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة**».
- وروينا في كتاب الترمذي عن عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن مكاتباً جاءه فقال: إني عجزت عن كتابتي فأعنّي، قال: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله ﷺ لو كان عليك مثل جبل ديناً أداه عنك ؟ قل: «**اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك**» قال الترمذي: حديث حسن.

من أدعية القرآن الكريم:

[١] ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

[٢] ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

[٣] ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين .

[٤] ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا وثبِّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

[٥] رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ، ربنا اغفر لي ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب .

[٦] ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غِلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم .

[٧] ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ، ربنا لا تجعلنا فتنة للذين آمنوا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم .

[٨] ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير .

٩] ربنا لا تؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

١٠] ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ، ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ، ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتنا مع وعدتنا على رُسُلِك ولا تُخْزِنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد .

١١] رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون .

١٢] علي الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين .

١٣] الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

١٤] رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم ، ولا تخزنى يوم يبعثون ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

١٥] رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك فى عبادك الصالحين .

١٦] رب قد آتيتني من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفنى مسلماً وألحقنى بالصالحين .

١٧] رب اشرح لى صدري ويسر لى أمري .

١٨] ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .

١٩] ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً .

٢٠] ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون .

٢١] رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدى ، وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي ، إني تبت إليك وإنى من المسلمين .

التنبيهات المهمة المتعلقة بالموضوعات المختلفة

١ - العقيدة أولاً:

[١] العقيدة يُراد بها الحكم الجازم الذي يعقد الإنسان قلبه عليه بغير تردُّدٍ أو شكٍّ، فيخرج منه الوهم والشك والظن، يقولون: عقد الحبل إذا شده، وعقد البيع إذا أمضاه ووثَّقه، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٣]، وقال: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩]، أي أكدتم وتقول اعتقدت كذا: أي عقدت القلب عليه.

وقد اصطلح كثيرٌ من العلماء على إطلاق اسم التوحيد على مُجمل الأمور التي يجب أن يعتقدها الإنسان وهو الذي تضمنته كلمة لا إله إلا الله، والقرآن يطلق على هذه الأمور وصف الإيمان، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢].

[٢] قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكُنْ أوَّل ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**»، وفي رواية: «**إلى أن يُوَحِّدُوا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلواتٍ في كلِّ يومٍ وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترضَ عليهم صدقة من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتقِ دعوةَ المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجابٌ**»(١).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

كان الإمام أبو حنيفة يسمّي مسائل التوحيد بالفقه الأكبر، والفقه في الدين، وسمّى فقه الشريعة بالفقه في العلم، واعتبر قضايا الإعتقاد أول واجب، ووصف الفقه في الدين بأنه أفضل من الفقه في العلم لحديث معاذ وغيره، وقد بدأ الإمام البخاري صحيحه بكتاب الوحي ثم الإيمان ثم العلم، فوضح بذلك منهجه ومنهج أهل السُّنة والجماعة وهو أن مصدر العلم والإيمان الكتاب والسُّنة أي الوحى المنزل.

[٣] معظم الآيات تعالج أمر العقيدة وبخاصة القرآن المكي، ففاتحة الكتاب وأم القرآن التي قسمها الله بينه وبين عبده نصفين تُعرِّف بالمعبود، وفيها إثبات القدر والنبوات والبعث والألوهية.. ومن تتبع دعوة رسول الله ﷺ ودعوة الأنبياء من قبل سيجد أن مفتاحها ﴿**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [الأعراف: ٦٥]، ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٢٥] وأفضل آية في كتاب الله هي آية الكرسي وما فيها إلا صفات الرب جل وعلا، وكذلك سورة الإخلاص التي تعدلُ ثلثَ القرآن، ما فيها هو تعريفٌ بالله سبحانه.

[٤] العقيدة أولاً هو منهجنا التربوي لقول جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تعلَّمنا الإيمان ثم تعلَّمنا القرآنَ فازددنا إيماناً»، ولقول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لقد عِشْنَا بُرهةً من الدهر وإنَّ أَحَدَنا يُؤتَى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة فنتعلم حلالها وحرامها وزواجرها وأوامرها وما يجب أن يوقف عنده، ولقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره، وما ينبغي أن يوقف عنده منه ينثرُهُ نثْرَ الدَّقلِ»، فالإيمان ثم القرآن هو منهج التربية.

[٥] والعقيدة أولاً لرأْبِ الصدع وحسم النزاع الموجود بين فصائل المجاهدين الأفغان، وتوحيد كلمة المسلمين هنا وهناك، بعد أن تفرقت صفوفهم وتشتت جهودهم، وأعمل فيهم أعداؤهم سياسات فرِّق تسُد، فهذا اشتراكي، والثاني ديمقراطي، والثالث مُلْحِد شيوعي... والعاشر ينادي بزمالة الأديان، وصارت دعوات

كثيرة وأديان عديدة ليس لله فيها نصيب، هذا بالإضافة إلى حرص الأعداء على إحلال شرائعهم ونظمهم محل شرع الله، مما أدى إلى مزيد من الفرقة والشر والخلاف، فصارت بعض بلدان المسلمين تطبق شريعة فرنسية وبعضها إنجليزية أو هولندية... فكيف يلتئم الشمل في ظل هذه الشرائع، ولذلك كان لابد من كلمة سواء، ودعوة صادقة لمعاني الإيمان، فكلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة، ووحدة الفكر قبل وحدة العمل، والتوحيد أولاً لو كانوا يعلمون.

[٦] تقديمُ الأهم على المهم أمرٌ واجب في العلم والعمل والدعوة إلى الله تعالى، وأوجب الواجبات هو توحيد الله تعالى، فيجب على كل مكلف سواء كان رجلاً أو امرأة أن يتعلم التوحيد وما ينافيه من الشرك، كما يجب عليه أن يتعلم الفرائض ما تصح به وما تبطل به، والحلال والحرام والأمور التي تستصلح بها القلوب كالصبر والشكر والإخلاص، والشبهات وكيفية دفعها عن النفس.

[٧] حربنا مع اليهود حرب عقائدية، ولذلك قال موشى ديان وزير الدفاع اليهودي عندما انتصروا في حرب ١٩٦٧م: يومٌ بيومِ خيبر، بل الدولة اليهودية - التي أقيمت في فلسطين - ماهي إلا دولة عقائدية يدل على ذلك اسمها وعلمها وكلام ساستها وزعمائها، كحديثهم عن شعب الله المختار، وأرض الميعاد....

وكذلك الصراعُ بين الصرب الصليبين والبوسنيين المسلمين، والحرب الدائرة بين الهندوس والمسلمين الهنود، وبين الملاحدة الشيوعيين والشيشانيين.. كل ذلك وغيره من صور الصراع العقائدي، مما يتطلب منا العودة إلى ديننا، والأخذ بأسباب القوة، وأعظمها قوة العقيدة وعمق الإيمان واليقين، قال تعالى: ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ [محمد: ٧]، وقال: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾ [النور: ٥٥].

[٨] التركيز على معاني العقيدة علاجاً للشر والفساد الذي نجم نتيجة البعد عن

ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، فقد صُرفت العبادات لغير الله بزعم محبة الأولياء، ووُجِدَ من يحكم بغير شرع الله، ومن يُلحد في أسمائه وصفاته سبحانه، وتمَّ فصل الدين عن الدولة وتَنَادَى البعضُ: أن دعْ ما لقيصر لقيصر وما لله لله، وافترقت الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كما افترقت اليهود والنصارى من قبل، فظهرت الأشاعرة والمعتزلة والخوارج والصوفية والشيعة... وقد كان الإمام أبو حنيفة يكفر من يطعن في إمامة أبي بكر وعمر ويَسُبُّ أم المؤمنين عائشة، وأبطل الصلاة خلفهم، فالعقيدة هي العاصمة ضد الفرقة.

[٩] لا تصح المفاهيم العامة والمصطلحات الغامضة أو الاكتفاء بكلمة قوة العقيدة، فالعقيدة لا تقوى بمجرد ترديد الكلمة أو بإعتقاد غير الحق، كعقائد الفرق الضالة النارية، وكذلك الأمر بالنسبة لتحقيق معاني الأخوة والوحدة وتوثيق العُرَى ومواجهة الإلحاد.. فلن يتم ذلك بالبدع أو المجاملات ومن أمثلة ذلك ما ذكره صاحب كتاب «تربيتنا الروحية» حين قال: «إن هذا الشيء الذي يجرى في طبقات أبناء الطريقة الرفاعية ويستمر فيهم هو من أعظم فضل الله على هذه الأمة، ومن رأي ذلك تقوم عليه الحجة!!!»، فكيف به لو رأى الدجال والخوارق تجري على يديه ؟!، وهل الحجة تقوم بمثل ذلك؟!، وأين الرجوع للكتاب والسُّنة؟!، قال الليث: «لو رأيتَ الرجلَ يمشي على الماء فلا تصدِّقه حتى تعرض عمله على السُّنة»، وقال الشافعي: «قصر والله الليث بل لو رأيته يطير في الهواء فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السُّنة».

وقال صاحب «أركان الإيمان»: «قال علماء أصول الدين: إن الكلام ينقسم إلى قسمين: الأول الكلام اللفظى، والثانى: الكلام النفسى، أما اللفظى فهو القرآن الكريم المنزل على سيدنا محمد، وكذا سائر الكتب المنزلة على الرسل عليهم الصلاة والسلام ولا ريب أن الكلام اللفظى حادث مخلوق له تعالى !!!» ومؤدَّى هذا الكلام أن القرآن مخلوق، قال الإمام أحمد: «من قال القرآن مخلوق فهو جَهمِيٌّ»، وفي رواية «كافر».

[١٠] الفرقة والخلاف الموجود مبنى في كثير من صوره على أسس عقائدية، فمنهج الإستنباط عند أهل السُّنة، هو كتاب الله وسُّنة رسول الله ﷺ، والذوق والمكاشفات والمنامات والفتوحات هو المنهج الذي تعتمده الصوفية، حتى أن الواحد منهم يقول: حدثني قلبي عن ربي!!، والمعتزلة يقدمون العقل على النقل ويعتمدون المنهج الكلامي الفلسفي، فإذا خالفت نصوصُ الشريعةِ عقولَهم، أَوَّلَوا النصوص وأبطلوها لتوافق العقول بزعمهم، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: أنه لا تعارض بين عقلٍ صريح وبين نصٍ صحيح، وقد درج سلف الأمة على تقديم النقل على العقل.

فإذا انتقلنا إلى الإسماعيلية والباطنية والروافض وما شابه ذلك من الفرق المارقة، وجدناها تعتمد المنهج الوثني، وهكذا، فالنزاع الموجود إنما هو في مصدر العلم ومنهج الفهم.

كُلُّ خيرٍ في اتباع من سَلَف　　　وكلُّ شرٍ في ابتداع من خَلَف

فإذا أردنا أن تحقيق معانى الأخوة والوحدة والنصر والعز والتمكين وسعادة الدارين... فلابد من العقيدة أولاً، وأن نتربى على مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، فهذا هو الذي يحقق لنا قوة العقيدة وعمق الإيمان واليقين ونصير به موحدين، بعيداً عن عقائد الجهمية وخزعبلات الرفاعية.

٢ - ولاية الله والطريق إليها:

[١] قال تعالى: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى قال: من عادَى لي ولياً فقد آذَنْتُهُ بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدى بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأُعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»(١).

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

[٢] الولاية ليست قاصرة على المقبورين، بل تشمل الأحياء والأموات، الرجال والنساء، والكبار والصغار، فكل مؤمن تقي فهو ولي من أولياء الله، وبحسب إيمانه وتقواه، بحسب ولايته لله تعالى، تحرم معاداته ومن عاداه دون وجه حق فقد عرّض نفسه لحرب من الله لا طاقة له بها، وطريق الولاية طريق واضح لا طلسمات ولا شعوذات، بل هو طريقٌ اكتملت معانيه في الكتاب والسُّنة، وسلكه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، ومن تابعهم بإحسان.

وقد ألحق الكذابون والوضاعون بهذا الحديث: «عبدى أطعنى تكن عبداً ربانياً تقول للشيء كن فيكون»، فلا بد من رد هذه الزيادة المكذوبة، إذ لا يقول للشيء كن فيكون إلا الله تعالى.

[٣] فسَّر الطبريُّ الأولياء بأنهم أنصار الله، ثم نقل ما رُوِيَ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من عباد الله لأُناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطُهُم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله**» قالوا: يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم؟ فإنا نحبهم لذلك، قال: «**هم قوم تحابوا في الله بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها**» وقرأ هذه الآية: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** (٦٢)﴾ [يونس: ٦٢] ثم قال الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال «الولى» أعنى ولي الله: هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها وهو الذي آمن واتقى كما قال الله: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** (٦٣)﴾ [يونس: ٦٣] اهـ.

فأولياء الله هم خُلَّص المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته، وقيل: أن الولى سُمِّيَ ولياً من موالاته للطاعات أي متابعته لها، وهذا المعنى يدور بين الحب والقرب والنصرة، وقد ذُكرت الكلمة في تسعين موضعاً من كتاب الله، أربعة وخمسون في جانب أولياء الله، وستة وثلاثون في جانب أولياء الشيطان وأعداء الله.

[٤] هذه الولاية تستلزم العلم النافع والعمل الصالح، وهذا يتضمن الإيمان

ومتابعة الفرائض بالنوافل، والفرائض ليست فقط هي الخمس التي اشتمل عليها حديث البخاري: «بُني الإسلام على خمس»، بل هي كثيرة جداً يصعب حصرها فمنها الجهاد وبر الوالدين وصلة الأرحام.. وترك المعاصي من أعظم فرائض الله، ومن الفرائض الباطنة الإخلاص والبعد عن سوء الظن والتباغض والتدابر والكبر والعجب، والتزام الصدق والبعد عن النفاق وأداء الأمانة، والبُعْدُ عن الخيانة، والتحلِّي بالصبر والخشية والتوبة والحب في الله والبغض في الله، والنوافل شاملة جميع أجناس الطاعات من صلاة وصيام وزكاة وحج، وهي كل ما ندب الله سبحانه إليه من غير إيجاب أو فرض.

[٥] أفضل الأولياء هم الأنبياء، وأفضل الأنبياء هم المرسلون، وأفضل الرسل هم أولو العزم، وأفضل أولو العزم نبينا محمد ﷺ، ويتلوه نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين، وأفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ رضي الله عنهم أجمعين لإجماع الصحابة على ذلك، ومن قَدَّمَ علياً على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في الفضل والخلافة فهو ضالٌ مُبتدع، بل ولا يصح تقديم عليٍّ على عثمان رضي الله عنهما وقد استقر الأمر على تقديم عثمان في الفضل والخلافة لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «**كنا نفضِّل بين أصحاب رسول الله ﷺ فنقدم أبا بكر ثم عمر ثم عثمان**»(١).

[٦] أفضل الصحابة بعد الخلفاء الأربعة الستة الباقون إلى تمام العشرة المبشرون بالجنة، ثم البدريون ثم أصحاب أُحد ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية، والصحابة رضوان الله عليهم هم خيار أولياء الله المتقين لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**خَيْرُ الناسِ قرني ثم الذين يلُونَهُم ثم الذين يلُونَهُم**»، وأفضل التابعين على جهة الجملة هو أويس بن عامر القرني، وأفضلهم علماً هو سعيد بن المسيب، كما قال الإمام أحمد، وسيدتا التابعين من النساء حفصة بنت سيرين وعمرة بنت عبد الرحمن، وعلماء الأمة من أولياء الله كما قال الإمام الشافعي - رحمه الله - إذا لم يكن العلماء بأولياءِ لله، فليس لله ولي، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨].

(١) رواه البخارى.

[٧] قال ابن تيمية: وأولياء الله على طبقتين: سابقون مقربون وأبرار أصحاب يمين مقتصدون، والأولياء غير الأنبياء ليسوا بمعصومين، فلا عصمة لأحد في هذه الأمة بعد النبي ﷺ لا لصاحب ولا إمامٍ ولا وَلِيٍّ، بل الجميع تجوز عليه الكبائر والصغائر، لكن للصحابة مَزِيَّة على كل من جاء بعدهم للسبق للإسلام ولجهادهم في سبيل الله، ولشرف صحبتهم لرسول الله ﷺ، ولذلك قال تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** (١٠٠)﴾ [التوبة: ١٠٠] وقد توهم البعض أن الولاية لا تثبت إلا بحدوث الكشوفات والخوارق أو أن الولاية قاصرة على المقبورين كأبي العباس المرسي، وإبراهيم الدسوقي، والسيد البدوي... وهذا كله خطأ وزعم فاسد.

[٨] معجزات الأنبياء كثيرة، وقد كانت من جنس ما برع فيه قومهم، مثل عصى موسى وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص - بإذن الله - لعيسى ومعجزة القرآن الكريم بالنسبة لرسول الله ﷺ، وكذلك إنشقاق القمر على عهده ﷺ ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير الطعام وحنين الجذع والإسراء والمعراج وإجابة دعائه....

ومن المعجزات التي لغير الأنبياء: قول عمر في قصة سارية وإخبار أبي بكر بأن ببطن زوجته أنثى، وإخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون عادلاً، وقصة مريم وقصة خالد بن الوليد وسفينة مولى رسول الله ﷺ مع الأسد، وأبي مسلم الخولاني في نجاته من النار التي أوقدها له الأسود العنسي مُدَّعي النبوة باليمن.

[٩] الخوارق التي تحدث للعباد وتجري على أيديهم منها كرامات رحمانية، ومنها خوارق شيطانية وضابط الكرامة هو الاستقامة، فإذا كان العبد يستقيم على كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، فلا يبعد أن تحدث له كرامة رحمانية، كما حدثت لكثير من الصحابة، وفي الحديث: «**قد كان في الأمم قبلكم مُحدَّثون، فإنْ يَكُنْ في أُمتي أحدٌ منهم فعمر منهم**»(١)، وفي لفظ في الصحيح: «**إنَّ في هذه الأمة مُحَدَّثين وإن**

(١) متفق عليه.

منهم عمر» ، وحديث: «**اتقوا فراسةَ المؤمن فإنه يرى بنور الله**» [١].

ثم عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع كونه من المحدَّثين بالنص، كان يُشاور الصحابة ويشاورونه ويراجعهم ويراجعونه، ويحتج عليه بالكتاب والسُّنة، ويرجعون جميعاً إليهما، وكان إذا عُرضت عليه المسألة يقول: أقول فيها، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان والله منه بريء، وكان أبو سليمان الداراني يقول: «إنها لتقع في قلبي النكته - أي المسألة - من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسُّنة» ، وقال أبو عثمان النيسابوري: «من أمَّر على نفسه الشريعة قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّر على نفسه الهوى قولاً وفعلاً نطق بالبدعة لأن الله تعالى يقول: ﴿ **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا** ﴾ [النور: ٥٤].

[١٠] قال ابن تيمية [٢]: وإذا عرفت أنه لابد للولي من أن يكون مقتدياً في أقواله وأفعاله بالكتاب والسُّنة، وأن ذلك هو المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل، فمن ظهر منه شيء منها يخالف هذا المعيار فهو ردٌّ عليه، ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه ولى الله، فإن أمثال هذه الأمور تكون من أفعال الشياطين كما نشاهده في الذين لهم تابع من الجن فإنه قد يظهر على يده ما يظن من لم يستحضر هذا المعيار أنه كرامة، وهو في الحقيقة مخاريق شيطانية وتلبيسات إبليسية، ولهذا تراه يظهر من أهل البدع بل من أهل الكفر وممن يترك فرائض الله سبحانه ويتلوث بمعاصيه لأن الشيطان أَمْيَلَ إليهم للاشتراك بينه وبينهم في مخالفة ما شرع الله سبحانه لعباده، وقد يظهر شيء مما يظن أنه كرامة من أهل الرياضة وترك الإستكثار من الطعام والشراب على ترتيب معلوم وقانون معروف حتى ينتهي حاله إلى أن لا يأكل إلا في أيام ذوات العدد ويتناول بعد مضى أيام شيئاً يسيراً فيكون له بسبب ذلك بعض صفاء من الكدورات البشرية، فيدرك ما لا يدركه غيره، وليس هذا من الكرامات في شيء، ولو

---

(١) أخرجه الترمذى وحسنه .

(٢) « ولاية الله والطريق إليها » (ص ٢٣٧) .

كان من الكرامات الربانية والتفضُّلات الرحمانية لم يظهر على أيدي أعداء الله كما يقع كثيراً من المرتاضين من كفرة الهند الذين يسمونهم الآن الجوكية، وقد يظهر شيء مما يظن أنه كرامة على لسان بعض المجانين، وسبب ذلك كما ذكره الحكماء أنه قد ذهب عنه ما يصنعه الفكر من التفصيل والتدبير الذين يستمران للعقلاء، فيكون لعقله إدراك لا يكون للعقلاء، فيأتي في بعض الأحيان بمكاشفات صحيحة، وهو مع ذلك متلوث بالنجاسة مرتبك في القاذورات قاعد في المزابل وما يشابهها، فيظن من لا حقيقة عنده أنه من أولياء الله، وذلك ظَنٌّ باطل وتخيلٌ مُخْتَل، وهو في الحقيقة مجنون قد رَفَعَ الله عنه قلم التكليف ولم يكن ولياً لله ولا عدواً. اهـ.

٣ - الغلو في الصالحين:

[١] الغلو في المنسوبين إلى الصلاح والتقى من أعظم أسباب كفر بني آدم وتركهم دينهم بل هو أصل عظيم من أصول الشرك قديماً وحديثاً، فلابد من أن يتوجه الناس بالعبادة لخالق الأرض والسماوات، وجدنا منهم من يذبح للسيد البدوي، وينذر لأبي العباس المرسي، ويستغيث بإبراهيم الدسوقي ويلتمس المدد والبركة من الحسين رضي الله عنه إلى غير ذلك من صور العبادة التي صُرفت لغير الله، وقد أخرجوا هذه الشركيات وأظهروها في قالب المحبة والتعظيم للأولياء، هكذا صوَّر لهم الشيطان وهكذا زعموا ثم احتجوا باطلاً على إنحرافهم عن عقيدة التوحيد بقول الله تعالى: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** (٦٢)﴾ [يونس: ٦٢].

[٢] غلا في الدين بمعنى قعد وتصلب وتشدد حتى جاوز الحد، قال تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ**﴾ [النساء: ١٧١] قال القرطبي: «ويعنى بذلك فيما ذكره المفسِّرون: غُلُو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم، وغُلُو النصارى فيه حتى جعلوه رباً، فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر، ولذلك قال مُطرف بن عبد الله الشِّخير: الحسنة بين سيئتين، وقال الشاعر:

لا تَغْلُ في شيءٍ من الأمر واقتصد ... كلا طرفي قصد الأمور ذميم» اهـ.

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فقد تابعت الأمة اليهود والنصارى حذو القُذَّة بالقُذَّة، وحذو النعل بالنعل، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**لا تقوم الساعةُ حتى تأخُذَ أمتي بأخْذِ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع، فقيل يا رسول الله كفارس والروم؟**»، فقال: «**فمن الناس إلا أولئك؟**» [(١)].

[٣] كان بين آدم ونوح عشرة قرون على التوحيد، ثم طرأ الشرك في قوم نوح عليه السلام ﴿**وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾ [نوح: ٢٣]، أخرج البخاري بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ، أما ودّ كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواعاً فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطفان، وأما يعوق فكانت لهمذان، وأما نسراً فكانت لحِمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال الحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخَ العلم عُبدت». ا هـ.

قال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمر فعبدوهم.

وقال ابن تيمية: ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط وضاهاهم في ذلك فقد شابههم كالخوارج المارقين من الإسلام. اهـ.

[٤] وقع كثير من الناس في كثير من أنواع الشرك الذي حذر منه النبي ﷺ، ومن ذلك دعاء الصالحين وطلب الحوائج من الموتى والإستغاثة بهم والتوجه إليهم وسؤالهم الشفاعة وطلب المدد والبركة منهم والطواف بأضرحتهم والتمسح بحديديهم والسجود لهم وشد الرحال لموالدهم واختلاط الرجال بالنساء عندهم، والذبح لهم... وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً عمن استغاث به أو سأله أن يشفع له عند الله، وهذا من جهله بالشافع

(١) رواه البخارى ومسلم .

والمشفوع، ومن المعلوم أن العبادة تُصرف لله لا تُصرف لأحد سواه ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقد صار بناء المساجد على القبور ذريعة لهذا الشركيات ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

[٥] لا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر، ولو أوصى إنسان بدفنه في المسجد لا تنفذ وصيته كما قال العراقي، إذ أنها اشتملت على معصية الله، ولا يجوز الصلاة إلى القبر أو على قبر كما لا يجوز بناء المسجد على قبر، وبذلك وردت نصوص الشريعة فعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي عليٌّ: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ، أن لا تدع صورة إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»(١)، وأبو الهياج هو رئيس شرطة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وفي الحديث: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يُحذر ما صنعوا(٢)، فابتداء عبادة الأصنام تعظيم الأموات بإتخذ صورهم والتمسح بها والصلاة عندها.

قال ابن القيم في قصة هدم اللات لما أسلمت ثقيف: فيه أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً، وكذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور، والتي اتُّخذَت أوثاناً تُعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتبرك والنذر، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى، ومناة، أو أعظم شركاً عندها وبها فأتبع هؤلاء سنن من كان قبلهم وسلكوا سبيلهم حذو القُذة بالقذة، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم، وصار المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والسُّنة بدعة، والبدعة سنَّة وطُمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقلَّ العلماء، وغلب السفهاء وتفاقم الأمر، واشتد البأس، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين. اهـ ملخصاً.

(١) رواه مسلم.
(٢) متفق عليه.

[٦] من صور الغلو في الصالحين جعل أقوالهم بمنزلة قول المعصوم ﷺ وتقليدهم حتى فيما أخطأو فيه، ومن المعلوم أن كل إنسان يوخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ ويعتبر غلو الشيعة في عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقولهم بعصمة الأئمة من أشنع صور الغلو، قال الحافظ ابن حجر: ورد من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعليّ إن هنا قوماً على باب المسجد يزعمون أنك ربهم، فدعاهم عليّ وقال لهم: ويلكم إنما أنا مثلكم آكل الطعام كما تأكلون وأشرب كما تشربون، إن أَطَعْتُ الله أَثَابني، وإن عصيْتُهُ خَشيت أنْ يُعذبني فاتقوا الله وارجعوا! فَأَبَوْا، فلما كان الغد غَدَوا عليه، فجاءه قُنبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام فسأل فأدخلهم، فقالوا كذلك، فلما كان اليوم الثالث قال: لئن قلتم ذلك لأقتلكم بأخبث قتلة فأبوا إلا ذلك، فقال: يا قنبر ائتنى بفعلة معهم مرورهم - عمالاً معهم أدوات حفرهم - فخدَّ لهم أُخدوداً بين المسجد والقصر، وقال لهم: احفروا فأبعدوا في الأرض وجاء بالحطب فطرحه في النار في الأخدود، وقال: إنى طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا «رفضوا» أن يرجعوا، فقذف بهم حتى احترقوا، وقال:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أَوْقَدتُ ناري ودعوت قُنبراً (١)

ولما بلغ ابن عباس تحريقهم قال: لو كنت أنا لم أحرقهم لقول النبي ﷺ: «**لا تعذبوا بعذاب الله**» ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**»، فبلغ ذلك علياً فقال: صدق ابن عباس (٢).

[٧] قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾ [الأعراف: ١٨٨] فالنافع الضار المعطى المانع... هو الله تعالى، وقد خطب النبي ﷺ فعمّ وخصّ، وقال: «**يا معشر قريش** - أو كلمة نحوها - **اشتروا أنفسكم** (أي بالإيمان بالله والعمل الصالح) **لا أغنى عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغنى عنك من الله شيئاً، يا صفية** - عمة رسول الله ﷺ - **لا أغني عنك**

(١) إسناده حسن.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً» (١)، وفي الحديث ردٌّ على من تعلّق بالأنبياء والصالحين، ورغب إليهم ليشفعوا له وينفعوه أو يدفعوا عنه، كما أن فيه دلالة صريحة على أنه لا يجوز أن يسأل العبد إلا بما يقدر عليه من أمور الدنيا، وأما الرحمة والمغفرة والجنة والنجاة من النار ونحو ذلك من كلِ ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فلا يجوز أن يطلب إلا منه تعالى، فإن ما عند الله لا ينال إلا بتجريد التوحيد والإخلاص له بما شرعه لعباده أن يتقربوا به إليه، فإذا كان لا ينفع ابنته ولا عمَّه ولا عمَّته ولا قرابته، فغيرهم أولى وأحرى وفي قصة عمِّه أبي طالب معتبر.

[٨] نهى النبي ﷺ عن الغلو في شخصه فقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله**» (٢)، فقد كان الإطراء هو بداية الغلو في عيسى وإدعاء أنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة، ولذلك كانت الحيطة التي لم ينتفع بها البعض كصاحب البردة (٣)، حين قال:

فإن من جُودِك الدنيا وضرتها ومن علومك علمُ اللَّوح والقلم

فجعل الدنيا والآخرة من جوده ﷺ وجزم بأنه يعلم ما في اللوح المحفوظ!!! ومن عجيب الأمر أن الشيطان أظهر لهم ذلك في صورة محبته ﷺ وتعظيمه ومتابعته ﷺ، بل انظر لغلوه أيضاً وهو يقول في قصيدته:

ما لي مَنْ ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

ولذلك رد عليه القائل بقوله:

لُذّ بالإله ولا تلُذ بسواه من لاذ بالملك الجليل كفاه

فأنت ترى كيف أنه لا يعرف له رباً يلوذ به عند الشدائد، وهو من الغلو الذي حذر منه رسول الله ﷺ، وقد كان ﷺ ينهى عن تعظيمه ويأكل كما يأكل العبد ويقول: «**إنما السيد هو الله**».

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه الشيخان .
(٣) البوصيري .

[٩] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته: «**القط لى حصى**»، فلقطت له سبعَ حَصيَات هن حصى الحذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول: «**أمثال هؤلاء فارموا وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»(١)، وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**هلك المتنطِّعون**»(٢) قالها ثلاثاً، فالغلو مذموم في الاعتقادات والأعمال وكذلك التنطُّع، والمتنطِّعون هم الغالون، وبالجملة فالغلو أصل الشرك في الأولين والآخرين إلى يوم القيامة، وقد أظهر لهم الشيطان الشرك في قالب محبة الصالحين، وكل صالح يبرأ إلى الله من هذا الشرك في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

[١٠] تعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم إنما هي باتِّباع ما دعوا إليه من العلم النافع والعمل الصالح واقتفاء آثارهم وسلوك طريقتهم في إخلاص العبودية لله وحده دون عبادتهم وعبادة قبورهم، ودون إتخاذهم أنداداً من دون الله يحبونهم كحب الله، إشراكاً بالله، وعداوة لله ولرسوله والصالحين من عباده كما قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧)**﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧]، ولما تعلل أهل الجاهلية في تبرير شركهم بقولهم: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ**﴾ [الزمر: ٣]، وبقولهم: ﴿**هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ**﴾ [يونس: ١٨]، رد عليهم سبحانه بقوله: ﴿**قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا**﴾ [الزمر: ٤٤]، فلا يصح أن يَخْلُقَ هو ويُعبد سواه، ومن كان محباً للصالحين فعليه بموافقتهم في الدين ومتابعتهم في طاعة رب العالمين.

(١) رواه أحمد والترمذي، وهذا لفظ ابن ماجه.
(٢) رواه مسلم.

٤ - العبوديـة:

[١] إقامة واجب العبودية، هي الغاية من خلق الخلق، قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** (٥٦)﴾ [الذاريات: ٥٦] وهذا النوع من التوحيد هو أعظم أصول الدين، ولأجله أرسل الله الرسل وأنزل الكتب كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: ٣٦]، وجميع الرسل أرسلوا لتحقيق إخلاص العبودية لله سبحانه وحده لا شريك له، فلا يُعبد إلا الله وحده ولا يُدعى إلا هو قال تعالى: ﴿**فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾ [الأعراف: ٥٩]، وهذه هي دعوة هود وصالح وشعيب وإبراهيم... وقال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** (٢٥)﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وكان أول أمر يتوجه إليه ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ** (١) **قُمْ فَأَنذِرْ** (٢) **وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ** (٣)﴾ [المدثر: ١-٣]، ﴿**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**﴾ أي عظّم ربك بالتوحيد وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، وهذا قبل الأمر بالصلاة والزكاة والصوم والحج، ومعنى ﴿**قُمْ فَأَنذِرْ**﴾، أي أنذر عن الشرك في عبادة الله وحده، وهذا قبل الإنذار عن الزنا والسرقة والربا وغير ذلك من المحرمات.

[٢] وُصف النبي ﷺ في أشرف مقاماته بوصف العبودية ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾ [الإسراء: ١]، وفي مقام الدعوة ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا** (١٩)﴾ [الجن: ١٩] وفي مقام الرد على من ادعى نبوة عيسى ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ** (٥٩)﴾ [الزخرف: ٥٩]، وقال: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣٦]، ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا** (٨٨) **لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا** (٨٩) **تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا** (٩٠) **أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا** (٩١) **وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا** (٩٢) **إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا** (٩٣) **لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا** (٩٤) **وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا**﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٥] ووصف الملائكة بأنهم ﴿**لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦]، وأمر

الخلق بالعبادة حتى الممات فقال: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩]، أي حتى يدركك الموت لا تنفك عن طاعة الله ولا عن عبادته سبحانه، وكان النبي ﷺ يقول: «**لا تُطرُوني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**» (١)، ولما خيِّر ﷺ بين أن يكون نبياً ملكاً وبين أن يكون عبداً رسولاً، تواضع لجناب الله، واختار أن يكون عبداً رسولاً، يأكل أكلة العبد ويجلس جِلسَةَ العبد وينام نومَةَ العبد، وهذا هو أشرف وأرفع المقامات.

[٣] **العبادة كما يقول ابن تيمية**: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحبُّه الله ويرضاهُ من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. اهـ.

من الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشوع والخشية والاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر إلى غير ذلك من أنواع العبادة، وصرف شيء من هذا إلى غير الله شرك بالله، ومنافٍ لكلمة التوحيد: لا إله إلا الله التي أرسل لأجلها تعالى رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، لأجلها نُصبت الموازين، ووُضعت الدواوين وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، فهي منشأ الخلق والأمر والثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وعليها أُسست الملة، ولأجلها جُرِّدت السيوف للجهاد، وهي حق الله على جميع العباد فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام وعنها يُسأل الأولون والآخرون: فلا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يسأل عن مسألتين: ماذا كنتم تعبدون؟، وماذا أجبتم المرسلين؟، فجواب الأولى بتحقيق لا إله إلا الله، معرفة وإقراراً وعملاً، وجواب الثانية بتحقيق أن محمداً رسول الله معرفة وإقراراً وانقياداً وطاعة، كما ذكر ابن القيم.

[٤] الناس إن لم يجمعهم الحق شعَّبهم الباطل، وإن لم توحِّدهم عبادة الله مزقتهم عبادة الشيطان وإن لم يستهوهم نعيم الآخرة، تنازعوا على حطام الدنيا الفانية، ثم من لم يعبد الله صار عبداً لسواه ولابد، ولذلك قال نبي الله إبراهيم لأبيه: ﴿**يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾**﴾ [مريم: ٤٤]، وقال تعالى:

---

(١) متفق عليه.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٤)﴾ [الفرقان: ٤٤]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَعس عبدُ الدرهم، تَعس عبدُ الخميصة، تَعس عبدُ الخميلة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعْطَ سخط، تَعس وانْتَكَسَ، وإذا شيكَ لاَ انتقَشَ**»[1]، قال ابن تيمية: فسماه النبي ﷺ عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة... فرضاؤهم لغير الله، وسخطهم لغير الله، وهكذا حال من كان متعلقاً منها برياسة أو صورة ونحو ذلك وهو رقيق له، إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته فما استرق القلب واستعبده فهو عبد. ا هـ.

[٥] العبادة لابد فيها من كمال الحب مع تمام الخضوع والذل، فالرجل قد يحب امرأة ولا يقال عبدها إذ خضوعه وذُلّه لله تعالى، والحاكم قد يقهر الخلق لسلطانه، ولا يقال عبدوه، إذ أنهم لا يجعلونه نداً لله تعالى ولا يحبونه لانحرافه ولا يطيعونه في معصية الله، وقد راجت عبارات معبود الجماهير ومعبودة الجماهير على بعض لاعبي الكرة أو الفنانين والفنانات، فالواجب أن نستحي من الله، ونمتنع عن تعبيد الخلائق لغير ربهم.

[٦] العبادة لابد فيها من نية وصحة وإخلاص ومتابعة، قال تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ١١٠]، فإذا كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً وصواباً، والخالص ماكان ابتغاء وجه الله، والصواب ما وافق سُنة رسول الله ﷺ، فالواجب علينا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً، وأن نعبد الله بما شرع وليس بشرع أحد سواه ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ [البينة: ٥]، ومن هنا تدرك خطأ من يرفض الطاعات والعبادات بزعم الإكتفاء بالنوايا الطيبة والقلوب البيضاء، كما تدرك خطأ التقصير في واجب العبودية بسبب دواعي العُرف والعادة والكثرة والمعقولية... قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا (٣٦)**﴾ [الأحزاب: ٣٦].

---

(١) رواه البخاري.

[٧] العبادات سواء كانت بدنية أو مالية أو قلبية لابد من صرفها لله تعالى وتجريد قصد التقرب فيها، بحيث لا تصرف لأحد سواه، وأن نحذر الشرك كله دقه وجله، وأن نتباعد عن سنن أهل الجاهلية، فعن أبي واقد الليثي قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون «يعلقون» بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر إنها السنن قلتم، والذي نفسي بيده، كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** [الأعراف: ١٣٨]، **لتركبن سنن من كان قبلكم**»(١)، فلا يجوز التبرك بالحجر ولا بالشجر ولا صرف العبادة لغير الله، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «**يا معاذ أتدري ما حقُّ الله على العباد؟ وما حقُّ العباد على الله؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**حقُّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحقُّ العباد على الله: أن لا يُعذِّبَ من لا يشرك به شيئاً**»(٢).

[٨] العبادات أمور توقيفية، والأصل فيها الحظر أي أنها تؤخذ دون زيادة ودون نقصان، قال تعالى: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾** [المائدة:٣]، أما المعاملات فالأصل فيها الإباحة إذا روعيت ضوابطها الكلية، ولا يجوز فصل بعض العبادات عن بعض، أو بعض الساعات عن بعض، كما لا يجوز أن نفصل الدنيا عن الآخرة والأرض عن السماء والعلم عن العمل، والدين عن الدولة، قال تعالى: **﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾** [النساء: ٦٥]، وقال: **﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾** [البقرة: ٨٥]، وقال: **﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥)﴾** [الأنعام: ١٥].

---

(١) رواه الترمذي وصححه.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

[٩] قالوا: من عبد الله بالرجاء فقط فهو مُرجئ ومن عبده بالحُبّ فقط فهو زنديق، ومن عبده بالخوف فقط فهو حروريّ (نسبة للخوارج الذين اعتصموا بحروراء)، فالعبادة الحقة هي التي يتوافر فيها الحب لله والخوف من الله، والرجاء فيما عند الله، ومن هنا تُدرك خطأ من قال: أنا لا أعبد الله خوفاً من ناره ولا طمعاً في جنته، ولكن أعبُدُهُ حباً لذاته !! فهذا القائل مخالف لنصوص الشريعة، ولما كان عليه الأنبياء والمرسلون، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٨]، وأدعية النبي ﷺ الثابتة كثيرة في سؤال الجنة والتعوذ به من النار، وهو صلوات الله وسلامه عليه سيِّد الأولين والآخرين، وأكثر الخلق عبودية وتُقىً لله تعالى.

[١٠] العباد يتفاوتون في تحقيق واجب العبودية، وتفاضلهم إنما يكون بحسب تقواهم لله تعالى فلا يستوي المحسن والمسيء والبر والفاجر والمؤمن والكافر، قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [القلم: ٣٥]، وقال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

٥ - العقيدة الصحيحة وما يضادها:

[١] العقيدة الصحيحة هي أصل دين الإسلام وأساس الملة، والأعمال والأقوال إنما تصح وتُقبل إذا صدرت عن عقيدة صحيحة موافقة للكتاب والسُّنة، فإن كانت العقيدة غير صحيحة مخالفة لما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، بطل ما يتفرع عنها من أعمال وأقوال كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥]، والعقيدة الصحيحة تتلخص في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وأدلة هذه الأصول الستة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن

تولُّوا وُجُوهكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله سبحانه: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وفي حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن جبريل سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال له: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

[٢] من الإيمان بالله سبحانه الإيمان بأنه الإله الحق المستحق للعبادة دون كل ما سواه لكونه خالق العباد والمحسن إليهم والقائم بأرزاقهم والعالم بسرهم وعلانيتهم، والقادر على إثابة مطيعهم وعقاب عاصيهم، ولهذه العبادة خلق الله الإنس والجن وأمرهم بها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١)﴾ [البقرة: ٢١]، وقد أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لبيان هذا الحق والدعوة إليه والتحذير مما يضاده، وحقيقة هذه العبادة هي إفراد الله سبحانه بجميع ما تعبّد العباد به من دعاء وخوف... وغير ذلك على وجه الخضوع له والرغبة والرهبة مع كمال الحب له سبحانه والذل لعظمته، وغالب القرآن نزل في هذا الأصل العظيم كقوله سبحانه ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣]، وقوله: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤)﴾ [غافر: ١٤]، وفي الصحيحين عن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**»، ومن الإيمان بالله أيضاً الإيمان بجميع ما أوجبه على عباده وفرضه عليهم كأركان الإسلام الخمسة وغير ذلك من الفرائض التي جاء بها الشرع المطهر، وأهم هذه الأركان وأعظمها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، وقد جهل أكثر المسلمين هذا الأصل حتى عبدوا مع الله غيره، وصرفوا خالص حقه لسواه.

---

(١) رواه مسلم، وأخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة.

[٣] ومن الإيمان بالله سبحانه الإيمانُ بأنه خالق العالم ومدبر شؤونهم والمتصرف فيهم بعلمه وقدرته كما يشاء سبحانه، وأنه مالك الدنيا والآخرة ورب العالمين جميعاً لا خالق غيره، ولا رب سواه، وأنه أرسل الرسل وأنزل الكتب لإصلاح العباد ودعوتهم إلى ما فيه نجاتهم وصلاحهم في العاجل والآجل، وأنه سبحانه لا شريك له في جميع ذلك لا ملك مُقَرَّب ولا نبي مرسل ولا وليّ كما يزعم بعض أتباع السيد البدوي أنه حيٌّ في قبره يُدَبِّر شئون الكون، ويجيب المضطر ويكشف الضر - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ﴾ [الزمر: ٦٢] وقال تعالى: ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأعراف: ٥٤].

[٤] ومن الإيمان بالله الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلا في كتابه العزيز، والثابتة عن رسوله الأمين من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل يجب أن تمر كما جاءت بلا كيف مع الإيمان بما دلَّت عليه من المعاني العظيمة التي هي أوصاف لله عز وجل يجب وصفه بها على الوجه اللائق به من غير أن يشابه خلقه في شيءٍ من صفاته كما قال تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى: ١١]، وقال: ﴿ **فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٧٤)** ﴾ [النحل: ٧٤] وهذه هي عقيدة أهل السُّنة والجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وأتباعهم بإحسان، ولما سُئل الإمام مالك عن قوله تعالى: ﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ** ﴾ [طه: ٥]، كيف استوى ؟ قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، ثم قال للسائل: ما أراك إلا رجل سوءٍ ! وأمر به فأُخرج، وقال ابن المبارك: نعرف ربنا سبحانه بأنه فوق سماواته على عرشه بائِنٍ من خلقه، وعقيدة السلف الصالح أسلم وأعلم وأحكم، قال نعيم بن حماد شيخ البخاري: من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبارُ الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفي عن الله تعالى النقائض فقد سَلَكَ سُبُلَ الهدى.

[٥] وأما الإيمان بالملائكة فيتضمن الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً فيؤمن المسلم بأن لله ملائكة خلقهم لطاعته ووصفهم بأنهم ﴿**عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨)**﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٨]، وهم أصناف كثيرة منهم الموكَّلون بحملِ العرش ومنهم خزنة الجنة والنار، ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد، ونؤمن على سبيل التفصيل بمن سمى الله ورسوله منهم كجبريل وميكائيل، ومالك خازن النار، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصُّورِ، ولا يصح تسمية ملك الموت بعزرائيل، وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**خلقت الملائكة من نور وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلِقَ آدم مما وصف لكم**»[1].

[٦] وهكذا الإيمان بالكتب يجب الإيمان إجمالاً بأن الله سبحانه أنزل كتباً على أنبيائه ورسله لبيان حقه والدعوة إليه كما قال تعالى: ﴿**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾ [البقرة: ٢١٣]، ونؤمن على سبيل التفصيل بما سمى الله منها كالتوراة والإنجيل والزابور والقرآن، والقرآن هو أفضلها وخاتمها وهو المهيمن عليها والمصدق لها، وهو الذي يجب على جميع الأمة اتباعه وتحكيمه مع ما صحَّت به السُّنة عن رسول الله ﷺ، لأن الله سبحانه بعث رسوله محمداً ﷺ إلى جميع الثقلين (الإنس والجن)، وأنزل عليه هذا القرآن ليحكم به بينهم وجعله شفاء لما في الصدور وتبياناً لكل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين كما قال تعالى: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥)**﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ [النحل: ٨٩]، فلا يليق أن نهجره أو أن نستبدله بغيره، أو أن يصبح لعمل الأحجبة وبضاعة للموتى.

[٧] وهكذا الرسل يجب الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً فنؤمن أن الله سبحانه أرسل إلى عباده رسلاً منهم مبشرين ومنذرين ودعاة إلى الحق، فمن أجابهم فاز

(١) رواه مسلم.

بالسعادة، ومن خالفهم باء بالخيبة والندامة، وخاتمهم وأفضلهم هو نبينا محمد ﷺ قال تعالى: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] وقال: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ومن سمى الله منهم أو ثبت عن رسول الله تسميته آمنا به على سبيل التفصيل واليقين كنوح وهود وصالح.. عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

[٨] وأما الإيمان باليوم الآخر فيدخل فيه الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ مما يكون بعد الموت كفتنة القبر وعذابه ونعيمه، وما يكون يوم القيامة من الأهوال والشدائد والصراط والميزان والحساب والجزاء ونشر الصحف بين الناس فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره، ويدخل في ذلك أيضاً الإيمان بالحوض المورود لنبينا محمد ﷺ والإيمان بالجنة والنار ورؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتكليمه إياهم، وغير ذلك مما جاء في القرآن الكريم والسُّنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ فيجب الإيمان بذلك كله وتصديقه على الوجه الذي بيَّنهُ الله ورسوله.

[٩] **وأما الإيمان بالقدر فيتضمن الإيمان بهذا الأمور:**

(أ) أن الله سبحانه قد علم ما كان وما يكون، وعلم أحوال عباده وعلم أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وغير ذلك من شؤونهم لا يخفي عليه من ذلك شيء سبحانه وتعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

(ب) كتابته سبحانه لكل ما قدَّرَهُ وقضَاهُ، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

(جـ) الإيمان بمشيئته النافذة فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢)﴾ [يس: ٨٢].

(د) خَلْقُهُ سبحانه لجميع الموجودات لا خالق غيره ولا رب سواه، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، وإنكار شيء مما ذكرناه بدعة مردودة على صاحبها.

[١٠] ويدخل في الإيمان بالله اعتقاد أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعات، وينقص بالمعصية، وأنه لا يجوز تكفير أحد من المسلمين بشيء من المعاصى التي دون الشرك والكفر كالزنا والسرقة... وغير ذلك من الكبائر مالم يستحل ذلك، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨]، ولما ثبت في الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ أنه الله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان.

ومن الإيمان بالله: الحب في الله والبغض في الله والموالاة في الله والمعاداة في الله، فيحب المؤمنين لقول النبي ﷺ: «**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»(١)، ويعتقدون أن أفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ﷺ أجمعين، ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويعتقدون أنهم في ذلك مجتهدون من أصاب فله أجران، ومن أخطأ فله أجر، ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ المؤمنين به ويتولونهم، ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين ويرضون عنهن جميعاً ويتبرؤن من طريقة الروافض الذين يبغضون أصحاب رسول الله ﷺ ويغالون في أهل البيت ويرفعونهم فوق منزلتهم التي أنزل الله عز وجل كما يتبرؤن من طريقة النَّواصِب الذي يؤذون أهل البيت بقول أو عمل، وما ذكرناه داخل في العقيدة الصحيحة التي بعث الله بها رسوله محمد ﷺ، وهي عقيدة الفرقة الناجية أهل السُّنة والجماعة التي قال فيها النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أُمَّتى على الحق منصورة لا يَضُرُّهُم من خَذَلَهم حتى يأتى أمر الله سبحانه**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، فقال الصحابة: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**»، «وهي العقيدة التي يجب التمسك بها والاستقامة عليها والحذر مما خالفها.

---

(١) متفق عليه .

٦ - بعض صور الانحراف عن العقيدة الصحيحة:

[١] كلمة التوحيد التي ندخل بها في الإسلام هي «**لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ**»، وقد تضمنت نفياً وإثباتاً، ومعناها أي لا معبود بحق إلا الله، وإلا فالمعبودات الباطلة كثيرة، قال تعالى: ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ**﴾ [البقرة: ٢٥٧]، والطاغوت كل ما عُبد من دون الله راضياً بذلك، وقد حكى لنا القرآن مقولة المشركين، عندما دعاهم النبي ﷺ لعبادة الله وحده ﴿**أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا**﴾ [ص: ٥]، فتعجبوا من ذلك لأنهم كانوا يعبدون اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، كما كانوا يعبدون الأشجار والأحجار، فإذا وجدوا حجراً أحسن من حجر تركوا الأول وعبدوا الثاني، وكانوا إذا ركبوا في الفلك واعْتَرَتْهُم الشِّدَّةُ، قذفوا بأصنامهم في البحر وقالوا: يا رب، فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين، وقد رأينا كيف وُجِدَ الشرك في قوم نوح: ﴿**وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً (٢٤)**﴾ [نوح: ٢٣، ٢٤]، فعُبَّادُ الأصنام والأوثان والملائكة والأولياء والجن، والأشجار والأحجار وغيرها، لم يستجيبوا لدعوة الرسل بل خالفوهم وعاندوهم، كما فعلت قريشُ وأصنافُ العرب مع رسول الله ﷺ، وكانوا يسألون معبوداتهم قضاء الحاجات وشفاء المرض والنصر على الأعداء، ويذبحون لهم وينذرون لهم فدعاهم رسول الله ﷺ وبيَّن لهم حقيقة الدين، فآمن به البعض ثم دخلوا في دين الله أفواجاً، فظهر دين الله على سائر الأديان بعد دعوة متواصلة وجهاد طويل.

[٢] لم يستمر الأمر على ذلك طويلاً إذ سرعان ما تغيرت الأحوال وغلب الجهل حتى عاد الأكثرون إلى دين الجاهلية بالغلو في الأنبياء والأولياء ودعائهم والاستغاثة بهم وغير ذلك من أنواع الشرك، ولم يزل هذا الشرك يفشو في الناس إلى عصرنا هذا بسبب غلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة، وشبهة هؤلاء المتأخرين هي شبهة

الأولين وهي قولهم: ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] وقولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ [الزمر: ٣]، وقد أبطل الله هذه الشبهة وبيَّن أن من عبد غيره كائناً من كان فقد أشرك به وكفر، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٨)﴾ [يونس: ١٨]، ورد على أصحاب الشبهة الثانية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، فعبادتهم لغيره بالدعاء والخوف والرجاء ونحو ذلك كفر به سبحانه.

[٣] **ومن العقائد الكفرية المضادة للعقيدة الصحيحة والمخالفة لما جاء به الرسل**: ما يعتقده الملاحدة في هذا العصر من أتباع ماركس ولينين وغيرهما من دعاة الإلحاد والكفر سواء سموا ذلك اشتراكية أو شيوعية أو بعثية أو غير ذلك من الأسماء، فإن من أصول هؤلاء الملاحدة أنه لا إله والحياة مادة، ومن أصولهم إنكار المعاد وإنكار الجنة والنار والكفر بالأديان كلها، وهذه العقيدة مفضية بأهلها إلى أسوأ العواقب في الدنيا والآخرة.

[٤] **ومن العقائد المضادة للحق**: ما يعتقده الباطنية وبعض المتصوفة من أن بعض من يسمونهم بالأولياء يشاركون الله في التدبير ويتصرفون في شؤون العالم ويسمونهم بالأقطاب والأوتاد والأغواث... وغير ذلك من الأسماء التي اخترعوها لآلهتهم وهو شر من شرك جاهلية العرب، لأن كفار العرب لم يشركوا في الربوبية وإنما أشركوا في العبادة، وكان شركهم في حال الرخاء، أما في حال الشدة فيخلصون لله العبادة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)﴾ [العنكبوت: ٦٥]، فهم جعلوا مع الله آلهةً أخرى مع إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن

يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس: ٣١]، وقال: ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله** ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ومن شاهد ما يفعله الجُهَّال عند قبر الحسين والسيد البدوي وابن عربي وعبد القادر الجيلاني... علم أن الجاهلية صورة متكررة وأن الشركيات بحاجة لتركيز ودعوة ومحاربة للقضاء عليها وتضافر الجهود لأجل ذلك.

[٥] لابد من محاربة الشرك في جميع ألوانه وصوره، سواء ما وجد منها قديماً أو ما تواجد منها في العصور المتأخرة، ويخطئ من يظن أن الشرك القديم قد انتهى، فما زالت الأصنام تُعبد في أدغال أفريقيا، ومازال الأوربيون يجثون أمام تمثال العذراء، والشيوعيون يطوفون بقبر لينين، وهم يفعلون ذلك رغم إدعاءات التطور والتحضر، ﴿ **يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون** ﴾ [الروم: ٧] هذا بالإضافة إلى الشرود عن منهج الله وظهور الفلسفات والنظم والمناهج الوضعية، فادعاء البعض أن الدماء الزرقاء تجري في عروقه، بحيث يرفع نفسه فوق مستوى البشر، أو ينصِّبه الآخرون نداً وإلهاً مع الله كل ذلك موجود، وهو شبيه بقول فرعون: ﴿ **ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴿٢٩﴾** ﴾ [غافر: ٢٩]، وقوله: ﴿ **ما علمت لكم من إله غيري** ﴾ [القصص: ٣٨]، وقوله: ﴿ **أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي** ﴾ [الزخرف: ٥١]، وحسبنا أن ننكر صرف أي عبادة لغير الله، وأن نعلم أن المشرع هو الله، ﴿ **والله يحكم لا معقب لحكمه** ﴾ [الرعد: ٤١] ﴿ **ألا له الخلق والأمر** ﴾ [الأعراف: ٥٤] فنرفض المناهج الوضعية والقوانين الطاغوتية الكفرية التي تصادم شرع الله تعالى.

[٦] **ومن العقائد الفاسدة في باب الأسماء والصفات:** عقائد أهل البدع من الجهمية والمعتزلة ومن سلك سبيلهم في نفي صفات الله عز وجل، وتعطيله سبحانه من صفات الكمال، ويدخل في ذلك من نفى بعض الصفات وأثبت بعضها كالأشاعرة وتناقضوا في ذلك تناقضاً بيناً، أما أهل السُّنة والجماعة فقد أثبتوا لله سبحانه

ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله محمد ﷺ من الأسماء والصفات على وجه الكمال ونزّهوه عن مشابهة خلقه تنزيهاً بريئاً من شائبة التعطيل، فعملوا بالأدلة كلها ولم يحرفوا ولم يعطلوا وسلموا من التناقض الذي وقع فيه غيرهم، وهذا هو سبيل النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة وهو الصراط المستقيم الذي سلكه سلف هذه الأمة وأئمتها، ولن يصلح آخرهم إلا بما صلح به أولهم وهو إتباع الكتاب والسُّنة وترك ما خالفهما.

[٧] **ومن أخطر نواقض الإسلام وأكثرها شيوعاً**: الشرك في عبادة الله، ومن ذلك دعاء الأموات والاستغاثة بهم والنذر والذبح لهم، وكذلك من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً، ويدخل في ذلك من لم يكفّر المشركين - المقطوع بشركهم وكفرهم كفرعون وأبي جهل وأبي لهب - أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم فقد كفر، ولا ينطبق ذلك على من تكفيره موضع اجتهاد واختلاف ويكفر كل من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به لقوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** ⑨﴾ [محمد: ٩]، وكذلك من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر، قال تعالى: ﴿**قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ** ⑥⑤ **لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦] ويدخل في ذلك أيضاً كل من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر لقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ⑧⑤﴾ [آل عمران: ٨٥].

[٨] من اعتقد أن هدى غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر، ويدخل في ذلك من اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام، أو أن نظام الإسلام لا يَصْلُحُ تطبيقُهُ في القرن العشرين أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين، أو أنه يُحْصَرَ في علاقة المرء بربه دون أن يتدخل في شؤون الحياة الأخرى، ويدخل في

ذلك أيضاً من يرى أن إنفاذ حكم الله في قطع السارق أو رجم الزاني المحصن لا يناسب العصر الحاضر، وكذلك من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضلُ من حكم الشريعة لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله إجماعاً، وكل من استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله فهو كافر بإجماع المسلمين.

[٩] **السحر**: ومنه الصرف «مثل صرف الرجل عن محبة زوجته إلى بغضها»، والعطف «مثل ترغيب الإنسان فيما لا يهواه» فمن فعله أو رضي به كفر لقول تعالى: ﴿**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ**﴾ [البقرة: ١٠٢] ولا يجوز أيضاً مظاهرة ومناصرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، لقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [التوبة: ٢٢].

[١٠] **الإعراض عن دين الله** لا يتعلمه ولا يعمل به، خطر عظيم على صاحبه، قال تعالى: ﴿**إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ**﴾ [السجدة: ٢٢] وهذه المسائل ينبغي للمسلم أن يحذرها ويخاف منها على نفسه، فإنها من أعظم ما يكون خطراً أو أكثر ما يكون وقوعاً، ولا فرق في ذلك بين الهازئ والجاد والخائف إلا المُكره، فإن الاستكراه يلغي الاختيار، ويرفع الإثم والذنب، ويجب تعليم الناس ما جهلوه من دين الله، وعدم المسارعة بالتكفير حتى تقوم الحجة الرسالية، وهذه الحجة يقيمها عالم أو ذو سلطان مطاع، بحيث تنتفي الشبهات وتدرأ المعاذير، كما ينبغي الانتباه إلى الفرق بين النوع والمعين، فقد نقول: إن القول كفر ويطلق القول بتكفير قائله، أما الشخص المعين، فلا يُكَفَّر حتى تُقام عليه الحجة، فقد يكون ممن نشأ ببادية بعيدة أو عُرضت له شبهات يعذره الله بها، أو كان عنده تأويل يمنع تكفيره، وينبغي أن يُعلم مدى الغربة التي وصلت إليها الأوضاع، وأن الناس قد ورثوا الإسلام وجهلوا معانيه ولم تقم عليهم

الحجة الرسالية قياماً يتأكد معه أن يحيى من حيٍّ عن بينة، وأن يهلك من هلك أيضاً عن بينة، وقد فرَّق الشرع بين من دخل في الإسلام وجهل معنى من معانيه، وبين من لم يدخل في الإسلام أصلاً فالأول يُعذر بجهله والثاني كافر أصلي، ولابد من توضيح المفاهيم وإبلاغ الحق للخلق أجمعين ﴿**لأنذركم به ومن بلغ**﴾ [الأنعام: ١٩].

٧ - الإسلام دين كامل:

قال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣]، نزلت هذه الآية الكريمة يوم الجمعة في حجة الوداع عشية عرفة، وقد عاش النبي ﷺ بعد نزولها إحدى وثمانين ليلة، وفيها التصريح بإكمال الدين، فلا نقصان فيه ولا يحتاج لزيادة أبداً، وقد رضيه سبحانه لنا فلا يسخطه أبداً، وهو الدين الذي لا يُقْبل غيره من أحدٍ ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)**﴾ [آل عمران: ٨٥]، ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ [آل عمران: ١٩]، وفي إكمال الدين وبيان جميع أحكامه كل نِعَمِ الدارين، ولذا قال: ﴿**وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**﴾ [المائدة: ٣]، فما من شيء يحتاج إليه الخلق في الدنيا ولا في الآخرة إلا أوضحه وبيَّنه كائناً ما كان.

ونسوق عشر مسائل عظام عليها مدار الدين والدنيا من المسائل التي تهم العالم في الدارين والتي تدلك على ما ذكرنا:

[١] **التوحيد**: وهو منقسم إلى ثلاث أقسام:

الأول: توحيده جلا وعلا في ربوبيته، وهو ما جبلت عليه الخلائق، بل أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت، قال تعالى: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقد أقرَّ بذلك إبليس قال: ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢)**﴾ [ص:٨٢]، وكذلك أهل النار ﴿**وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا**﴾ [الأنعام: ٣٠]، بل وأقر بذلك فرعون مع جحوده الظاهر بدليل قوله تعالى:

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، وهذا التوحيد لابد من الإقرار به ولكنه لا يكفي حتى يوحِّدَ العبدُ ربَّه، ويُفرده بالعبادة سبحانه، ولذلك فهو لم ينفع الكفار لأنهم لم يوحدوه جل وعلا في عبادته كما قال: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ (١٠٦) ﴾ [يوسف: ١٠٦].

الثاني: توحيد الألوهية وهو توحيده جل وعلا في عبادته، وحاصله هو معنى لا إله إلا الله، ومعناها أي لا معبود بحق إلا الله، وقد وصف القرآن اليهود والنصارى بالشرك مع إقرارهم بوجود الله واعترافهم بأنه المحيي المميت، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١].

الثالث: هو توحيده جل وعلا في أسمائه وصفاته ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وهذا يشمل الإيمان بكل ما وَصَفَ به نفسَه أو وصفَه به رسولُه ﷺ حقيقة لا مجاز على الوجه اللائق بكماله وجلاله، وتنزيهه تعالى عن مشابهة صفات الحوادث، ومن المعلوم أنه لا يَصِفُ الله أعلم بالله من الله، ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ.

[٢] لا واعظ أكبر ولا زاجر من موعظة المراقبة والعلم، وهي أن يلاحظ الإنسانُ أن ربه جل وعلا رقيبٌ عليه عالمٌ بكل ما يُخفي وما يُعلن، والكل مبتلى في هذه الدار أيؤمن أم يكفر، أيحسن أم يُسيء، أيطيع أم يعصى ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الكهف: ٧]، وطريق النجاح في ذلك الاختبار هو «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(١)، ولهذا لا تقلب ورقة من المصحف الكريم

(١) رواه مسلم.

إلا وجدت فيها هذا الواعظ الأعظم ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦)﴾ [ق: ١٦]، ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)﴾ [ق: ١٨] ونحو هذا في كل موضع من القرآن.

[٣] العمل الصالح المقبول هو ثلاثة أمور ومتى اختل واحدة منها لا نفع فيه لصاحبه يوم القيامة:

الأول: أن يكون مطابقاً لما جاء به النبي ﷺ لأن الله يقول: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

الثاني: أن يكون خالصاً لوجهه تعالى لأنه يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البيّنة: ٥].

الثالث: أن يكون مبنياً على أساس العقيدة الصحيحة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النساء: ١٢٤]، وقال: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣)﴾ [الفرقان: ٢٣].

[٤] تحكيمُ غير الشرع كفرٌ بواحٌ وشركٌ بالله تعالى، وقد بيَّن سبحانه أن من أطاع الشيطان في تشريعه تحليل الميتة أنه مشرك، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١] وسيوبخ الله يوم القيامة مرتكبه بقوله: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١)﴾ [يس: ٦٠، ٦١]، ولما سأل عدي بن حاتم رضي الله عنه النبي ﷺ عن قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾ [التوبة: ٣١]، أجابه النبي ﷺ بأن معنى اتخاذهم أرباباً هو إتباعهم لهم في تحريم ما أحلَّ الله وتحليل ما حرمه، وهذا أمر لا نزاع فيه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن

يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا (٦٠) ﴾ [النساء: ٦٠]، وقال: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

[٥] وهي مسألة تتعلق بأحوال الإجتماع، فانظر إلى ما أُمِرَ به الرئيسُ الكبير أن يفعله مع مجتمعه ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٨]، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وانظر إلى ما يأمر المجتمع العام أن يفعله مع رؤسائه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩]، وانظر إلى ما يأمر الإنسان أن يفعله مع مجتمعه الخاص كأولاده وزوجته: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) ﴾ [التحريم: ٦]، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) ﴾ [التغابن: ١٤]، فأمر أولاً بالحزم والحذر وثانياً بالعفو والصفح.

وفي مقام التعامل العام، قال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال: ﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [الحجرات: ١٢] وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) ﴾ [الحجرات: ١١] وقال: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢]، وقال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨]، وقد أمر سبحانه بمواجهة الإساءة بالإحسان، أما العدو الشيطاني فلابد من

الاستعاذة منه والإلتجاء لجناب الله، وقد ذكر ذلك سبحانه في ثلاث مواضع من كتابه فقال: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، أما العدو الشيطانى فلا تُقبل مُداراة ولا مُداهنة ولا هُدنة، ولذلك قال: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ٧٣]، فالشِّدة في محل اللين حمُق وخرَقٌ، واللين في محل الشِّدة ضَعْفٌ وخَوَرٌ.

[٦] مسائل الإقتصاد راجعة إلى أصلين:

الأول: حسن النظر في إكتساب المال.

الثانى: حُسن النظر في صرفه في مصارفه.

أما بالنسبة للأولى فقد فتح القرآن الطريق إلى اكتساب المال بالأسباب المناسبة للمروءة والدين، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة: ٩]، وقال: ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وقال: ﴿ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ [النساء: ٢٩]، وقال: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾ [البقرة: ٢٧٥] إلى غير ذلك، وانظر كيف يأمر بالإقتصاد في الصرف ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا ﴾ [الأنفال: ٦٩]، ﴿ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [الإسراء: ٢٩]، ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وانظر كيف ينهى عن الصرف فيما لا يحل الصرف فيه ﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦].

[٧] بالنسبة للسياسة فقد بيَّن القرآن أصولها وأنار معالمها وهي تنقسم إلى قسمين: خارجية وداخلية، أما الخارجية فمدارها على إعداد القوة الكافية لقمع العدو

والقضاء عليه، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، والثاني: الوحدة الصحيحة لقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] وقد أوضح القرآن ما يتبع ذلك من الصلح والهدنة ونبذ العهود إذا اقتضى الأمر ذلك، قال تعالى: ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة: ٤]، وقال: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ [التوبة: ٧]، وقال: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وأمر بالحذر والتحرز من مكائدهم وانتهازهم الفُرص فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ﴾ [النساء: ٧١]، ونحو ذلك من الآيات وأما السياسة الداخلية، فمسائلها راجعة إلى نشر الأمن والطمأنينة داخل المجتمع وكف المظالم ورد الحقوق إلى أهلها، ومدار هذه السياسة على ستة أصول:

الأول - الدين: وللمحافظة عليه قال ﷺ: «**من بَدَّلَ دينَهُ فاقْتُلُوه**» وهذا رد بالغ عن تبديل الدين وإضاعته.

الثاني - الأنفس: وللمحافظة عليها، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٧].

الثالث - العقول: وللمحافظة عليها وجب الحدُّ على شارب الخمر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)﴾ [المائدة: ٩٠]، وفي الحديث: «**كُلُّ مُسكرٍ حرام، ما أسْكَرَ كثيرُهُ فقليله حرام**».

الرابع - الأنساب: وللمحافظة عليها شرع الله حَدَّ الزنا ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢].

الخامس - الأعراض: وللمحافظة عليها شرع الله جلد القاذف ثمانين جلدة

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾

[النور: ٤].

السادس - الأموال: للمحافظة عليها شرع الله قطع يد السارق ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ ﴾ [المائدة: ٣٨]، فتبين من ذلك أن اتباع القرآن كفيل للمجتمع بجميع مصالحه الداخلية والخارجية.

[٨] تسليط الكفار على المسلمين جاءهم من قبَل أنفسهم، ودليل ذلك ما حدث يوم أُحد قال تعالى: ﴿ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وقد أوضحت الآيات الأسباب ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

[٩] مسألة ضعف وقلة عددهم وعُددهم، علاجها الإخلاص واليقين، قال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، ونصرهم يوم الأحزاب بالملائكة والريح وقال: ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [الأحزاب: ٩]، وكانت عُدتهم يومئذ الإيمان واليقين، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) ﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وقال: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

[١٠] مشكلة اختلاف القلوب وسببها عدم العقل ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [الحشر: ١٤]، ثم بيّن السبب بقوله: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ (١٤) ﴾ [الحشر: ١٤]، ودواء ضعف العقل هو إنارته باتباع نور الوحي قال تعالى: ﴿ أَوَ مَن

كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢] وقال: ﴿ **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ** ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وبالجملة فالمصالح البشرية التي بها نظام الدنيا راجعة إلى ثلاثة أنواع:

الأول : درء المفاسد وحاصله دفع الضرر عن الدين والنفس والعقل والنسب والعرض والمال.

الثاني : جلب المصالح المعروف بالحاجات كالبيوع والإمارات والمصالح المتبادلة بين الأفراد على الوجه الشرعي.

الثالث : التحلي بمكارم الأخلاق والجري على محاسن العادات مثل خصال الفطرة والإنفاق على الأقارب والفقراء أو تحريم المستقذرات، وكل هذه المصالح لا يمكن المحافظة عليها إلا بدين الإسلام ﴿ **الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** ﴿١﴾ ﴾ [هود: ١].

٨ - اللهم لك أسلمت:

[١] الإسلام يعني الاستسلام والخضوع والإذعان والإنقياد لأمر الله سبحانه، ولا تثبتُ قَدَمٌ في الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام وما سلم أحد في دينه إلا من سلم لنصوص الوحيين « الكتاب والسُّنة » والإسلام أيضاً هو الشرع العام والنظام الشامل لكل ناحية من نواحي الحياة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو أخلاقية، وسواء تعلقت بالفرد أو بالجماعة بالمسجد أو بالسوق، دين ضابط لحالات السلام والحرب والسياسة الداخلية أو الخارجية ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣]، وقد أقام النبي ﷺ دولة بدين الله ونظّم شئونها بشرع الله، والإسلام هو الإجابة على الأسئلة الثلاثة: من خلقنا؟

ولماذا خلقنا ؟ وإلى أين المصير ؟ فالله سبحانه هو خالق الخلق ومالك الملك، وما خلقنا إلا لعبادته وطاعته ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦]، وإليه سبحانه المرجع والمصدر، والإسلام كما عرَّفه النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً**»، وهو دين التوحيد والعلم والعمل والعدل وغير ذلك من المعاني التي حَثَّ عليها ودعا إليها.

[٢] ما من نبيٍّ إلا ودعا إلى الإسلام، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤)**﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣٤].

فإبراهيم هو القدوة الذي يُؤتَمُّ به، وهو مُعلِّم الخير ﴿**هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ**﴾ [الحج: ٧٨]، بل هو إمام الناس كلهم ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا**﴾ [النحل: ١٢٠]، ﴿**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ**﴾ [البقرة: ١٣٠]، وقد أمر بالإسلام، وقال: أسلمت لرب العالمين، وهذه وصيته إلى بنيه ووصية إسرائيل «يعقوب» إلى بنيه، وقد اصطفى ربنا آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين.

ثم قال: ﴿**وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥)**﴾ [البقرة: ١٣٥] فأمر باتباع ملة إبراهيم ونهى عن التهوُّد والتنصُّر وأمر بالإيمان الجامع كما أُنْزِلَ على النبيين، وما أوتوه وبالإسلام له سبحانه، وأن نُصْبَغَ بصبغة الله، وأن نكون له عابدين، ورد على من زعم أن إبراهيم وبنيه وإسرائيل كانوا

هوداً أو نصارى ؟، فالإسلام هو دين جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم وهو الذي ارتضاه سبحانه للعالمين، قال تعالى: ﴿ **وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٣]، وفي الدعاء: «**أصبحنا على فطْرَة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد - ﷺ - وعلى ملَّة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين**»(١).

[٣] الإسلام هو العقيدة الحقة الصحيحة وما سواه فعقائد فاسدة لاتغنى عن أصحابها من الله شيئاً سواء كانت من وضع البشر كهذه النظم والدساتير والمناهج الفكرية أو مُنزّلة، ولكنها حُرِفت وغُيرت وبُدلت كالتوارة التي استبدلها اليهود بالتلمود والإنجيل الذي استبدله النصارى باثنى عشر إنجيلا يضرب بعضها بعضاً، وقد تكفل سبحانه بحفظ دينه الإسلام كتاباً وسُّنة ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴿٩﴾ ﴾

[الحجر: ٩].

بل وتكفل بحفظ من يقوم بالدين على مر العصور، فلن تخلوا الأرض من قائم لله بحجة، ويبعث الله على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة شبابها، ولا تزال طائفة من الأمة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك، وكما شرفنا ربنا بالانتساب لدينه، فلا يصح أن نتحرج من النطق بكلمة الإسلام أو إظهار شعائره، أو أن نترك العمل بمقتضاه، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]، آمنا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

[٤] الدين واحد وإنما تعددت الشرائع، وشريعة الإسلام حاكمة ومهيمنة على سائر الشرائع، ولذلك ترجم البخاري بقوله: باب ماجاء في أن دين الأنبياء واحد،

---

(١) رواه أحمد والطبراني وابن السنى ، وقال الإمام النووى فى الأذكار : إسناده صحيح .

وذكر الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**إنا معشر الأنبياء أخوة لعلات ديننا واحد، وأمهاتنا شتى**» .

ومن هذا نتبين خطأ من يقول: « الأديان السماوية » لأن الدين واحد ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾ [آل عمران: ١٩] ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥] .

وينبغي أن نعلم أن كلٌّ من لا يدين بالإسلام من أهل الكتاب بعد سماعه برسول الله ﷺ فهو كافرٌ لقول النبي ﷺ: «**والذي نفسُ محمدٍ بيده لا يَسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرْسِلْتُ به إلا كان من أصحاب النار**»[1] .

[٥] الدعوة إلى زمالة الأديان، دعوة خبيثة فاجرة من شأنها أن تصرف اليهود والنصارى عن الدخول في الإسلام، ولأن كثير من النصارى وبعض اليهود متعطشين إلى دين شامل كامل كالإسلام، وقد سئِموا ما يُسمى عندهم بالمسيحية واليهودية التي هي من صنع الأحبار والرهبان، وليست الدين الصحيح الذي أنزله الله على موسى وعيسى عليهما السلام

وهناك هدفٌ آخر لهذه الدعوة، وهو تخدير مشاعر المسلمين تجاه اليهود والنصارى فلا يستشعر المسلم وجوب دعوتهم، ووجوب عداوتهم في الله لأنهم كفار، بل إن بعض المسلمين يظن أن اليهود والنصارى ناجون يوم القيامة لأنهم أتباع دين سماوي بزعمهم، واتخذهم البعض أصدقاء وأولياء وأحباباً من دون المؤمنين، مخالفين قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ [المائدة: ٥١]، وقوله سبحانه: ﴿**لا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾

[هود: ١١٣] .

---

(١) رواه مسلم .

ولم يفرق جمعٌ من الناس بين جواز رحمتهم بالرحمة العامة كإطعامهم من جوع ومداواتهم من مرض، ومجادلتهم بالتي هي أحسن وهديتهم وعيادتهم والتزوُّج من نسائهم والبيع والشراء معهم والعدل فيهم... وبين بغضهم وعدم محبتهم أو مودتهم وموالاتهم.

واستمسك كل فريق ببعض النصوص وهجر البعض الآخر، وأهل الحق بين الغالي والجافي، يعلمون الحق وبه يعدلون، ويستمسكون بكل ما جاء في كتاب الله وفي سُنَّة رسوله ﷺ، فالدعوة إلى الصداقة بين أهل الأديان أو زمالتهم دعوة مارقة فاسدة، وقد جاور النبي ﷺ اليهود في المدينة، جادلوه وخاصموه ودعاهم إلى الإسلام والإيمان، ولم يدعهم للتوفيق بين الإسلام واليهودية أو التقريب بينهما، ولو علم في ذلك خيراً لفعله، كما قدم عليه وفد نجران فحاجوه في النصرانية ودعاهم صلوات الله وسلامه عليه إلى الإسلام، ونزل عليه قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٦٤].

ثم دعاهم إلى المباهلة « أي يُنزل الله لعنته على الكاذب »، فخافوا وأشفقوا على أنفسهم، فعرض عليهم إما الإسلام أو الحرب أو الجزية، فاختاروا دفع الجزية، فينبغي على كل مسلم أن ينتبه إلى خطورة هذه الدعوات المشبوهة مثل دعوات الزمالة والتقريب بين الأديان.

[٦] الإسلام هو الإيمان وهو الهدى والبر والتقوى وهو ما يبعث الله به الرسول ﷺ من العلم النافع والعمل الصالح، ولا إسلام لمن لا إيمان له، ولا إيمان لمن لا إسلام له، فالإيمان يتضمن الإسلام ويزيد عليه، قال تعالى: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٤]، وهؤلاء الأعراب كان معهم أصلُ الإيمان الذي منعهم من الدخول في عِداد المنافقين، ولم

يكن معهم الإيمان الكامل الذي يستحقون به مثل هذا الثناء ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[الحجرات: ١٥].

والإسلام إذا أُفرد دخل في معناه الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وإذا كان الإيمان يقتضى العمل الظاهر فالإسلام بدون إيمان من عمل المنافقين والإيمان الكامل الواجب يقتضى فعل ما أمر الله به ورسوله وترك ما نهى الله عنه ورسوله.

[٧] ولفهم الإسلام فهماً صحيحاً فلابد من الرجوع لسلف الأمة في فهم الكتاب والسُّنة، وإلا فإسلام الشيعة يختلف عن إسلام الصوفية والخوارج والمعتزلة... وكل هؤلاء يخالفون ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام، وقد أثنى سبحانه على الصحابة بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال النبي ﷺ: «**خير القرون قرنى، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»(١)، وفي حديث العرباض بن سارية: «**فإنه مَنْ يعشْ منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنَّتى وسُّنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**»(٢).

وقد وصف ابن مسعود صحابة النبي ﷺ بقوله: «كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً»، فالدين الخالص الذي يرضى به الله هو ما كان عليه رسول الله وصحابته الكرام علماً وعملاً واعتقاداً.

[٨] المستقبل للإسلام، وذلك بغلبته وظهوره على الأديان الباطلة، فليس لنا أن

---

(١) متفق عليه.
(٢) رواه أبو داود والترمذى وقال: حسن صحيح.

نيأس من روح الله، وعلينا أن نبدأ بإصلاح النفس والسعي في دعوة الآخرين، وأن نرتفع إلى مستوى إسلامنا حتى نغير به عوج الحياة وأن نعلم أن هذه الحالة السيئة التي يعيشها المسلمون لن تستمر بإذن الله، فالأمة ستعاود النهوض من كبوتها وستستيقظ بعد سُباتها ويعود لها عزها ونصرها المفقود.

فعن أبي قبيل قال: «كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص وسُئل أى المدينتين تُفتح أولاً القسطنطينية أو رومية ؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق قال: وأخرج منه كتاباً قال: فقال عبد الله: بينما نحن جلوس حول رسول الله ﷺ نكتب إذا سُئل رسول الله ﷺ: أى المدينتين تُفتح أولاً القسطنطينية أو رومية ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**مدينة هرقل تُفتح أولا يعنى قسطنطينية**» (١)، ورومية هي روما عاصمة إيطاليا، وقد تحقق الفتح الأول وسيتحقق الفتح الثاني بإذن الله تعالى ولابدَّ ولتعلمُن نبأه بعد حين، وهذا يستدعي أن تعود الخلافة الراشدة إلى الأمة المسلمة وأن يعود المسلمون أقوياء في معنوياتهم ومادياتهم وسلاحهم.

٩ - بعض خصائص وسمات الشخصية المسلمة:

[١] لا يخفى على أحد أن الإسلام قد أصبح في واد والمسلمون في وادٍ ثان، إسلامهم يناديهم من يوم بدر وأحد ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا**﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وعاد الأمر غريباً كما بدأ غريباً، واستسلمت الأمة لمكائد أعدائها الذين يعملون ليل نهار من أجل هزيمتها وإضعافها واستخدموا من أجل ذلك كل سلاح سواء كان سياساً أو عسكرياً أو اقتصادياً، وكان من أعتاها وأشدها الغزو الفكرى، فحدث تبعاً لذلك نوع من الإنفصال المريب بين الدولة والدين، والعلم والعمل، والدنيا والآخرة، والأرض والسماء، وبين بعض العبادات وبعض، وحورب الإسلام بيد أبنائه،

---

(١) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي والألباني .

بعد أن كان يُحَارَبُ بيد أعدائه واستهزأ فريق من الناس بسُّنة رسول الله ﷺ وقسموا الدين إلى قشر ولباب، مما آل بالمسلمين إلى مزيد من الضعف والتفرق بل وتسلط عليهم الكفار في عُقْر دارهم فتبدل الحال وتغير لما تركنا إسلامنا وراء ظهورنا ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١].

وباختصار شديد تركنا أسباب عزنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة، وهذه العزة الإيمانية التي جعلت عمر يكتب إلى أبي عبيدة يوماً ويقول: « إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بهذا الدين، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله »، وامتدت هذه العزة فكتب هارون الرشيد إلى نقفور ملك الروم يقول: « أما بعد، فمن هارون الرشيد إلى نقفور كلب الروم، فإن الأمر ما ترى لا ما تسمع »، وكان يحج عاماً ويغزو عاماً.

[٢] واليوم إذا أردنا العلاج، فعلينا بالرجوع لكتاب الله وسُّنة رسول الله ﷺ بدلاً من أن نولي وجوهنا قبل المشرق والمغرب، فنحل الحلال ونحرم الحرام ونحكم ونتحاكم بشرع الله فتصبغ الدولة بدين الله وذلك لأن الوطن لله والدين لله، والله يحكم لا معقب لحكمه، ويستسلم رجال الدولة لأمر الدين فيتركون النظم والدساتير والمناهج الكفرية، نطلب العلم للعمل ونعمل هنا على ظهر الأرض ونظرنا إلى السماء وحساباتنا حسابات أخروية فالدنيا والآخرة حسبة واحدة وطريق واحد ونحن ننتقل من حياة إلى حياة لقول النبي ﷺ: «**إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها فليغرسها**» (١)، ووسع النبي ﷺ في مفهوم الصدقة فقال: «**وفي بضع أحدكم صدقة**» (٢)، لا يليق بنا أن نصرف ساعة للشيطان ونعيش بمنطق الجاهلية « اليوم خمر وغداً أمر » فالساعات كلها لله عز وجل ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)**﴾ [الأنعام: ١٦٢]، والمسلم يعظم حرمات الله وشعائر الله عز وجل لا يستهين بمستحب ولا بواجب، وربنا عز وجل

(١) رواه أحمد والبخارى.
(٢) رواه مسلم.

أحق أن يُطاع فلا يعصى وأن يُذكر فلا ينسى وأن يُشكر فلا يكفر، وفي ضوء هذه البصيرة سنعلم أن اختلاف القلوب هو بسبب عدم العقل وعلاجه إتباع نور الوحي ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وضعف المسلمين علاجه الإخلاص وقوة الإيمان ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢)﴾

[الأحزاب: ٢٢].

وتسلط الكفار علينا إنما هو بسبب أنفسنا وإنحرافنا عن منهج الله، فقد بيَّن لنا ربنا ذلك بشأن غزوة أُحد وما حدث فيها ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ثم أوضح سبحانه ذلك بقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

[٣] صحوة إسلامية، فاعملوا وأبشروا، وبداية السيل قطرة ومسيرة آلاف الأميال تبدأ بخطوة واحدة وهذه الخطوة التي تعيشها الدعوة والتي أسقط بسببها في يد أعداء الإسلام ما هي إلا مقدمة وكل مقدمة لها نتيجة نستبشر معها بتحقيق الوعد الصادق بإذن الله، وإن غداً لناظره قريب.

[٤] التطرف مصطلح وافد، فلو جاز إطلاقه فأولى الناس به الذين انحرفوا عن منهج الله فكانوا بين الغلو والجفو والإفراط والتفريط، وينبغي الحذر من إطلاق المصطلحات المستوردة بصفة عامة ومن بينها هذه الكلمة التي أصبحت تستخدم في الصد عن سبيل الله والتنفير من طاعة الله والتخوف من السير في ركب الإيمان حتى لا يوصف الإنسان بوصف التطرف، فامتنع البعض من إطلاق لحيته والتكلم باللغة العربية والإستنان بسُّنة رسول الله ﷺ وشاع التبرج والفجور واستجابة لهذه الصيحات،

فإلى هؤلاء جميعاً نقول: اتقوا الله فالميزان هو كتاب الله وسُنّة رسول الله ﷺ وليس العرف أو الواقع المنسلخ المتفلت عن دين الله ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)﴾

[النساء: ٦٥].

والنصيحة والأمر بالمعروف يكون بالواجب والمستحب والنهي عن المنكر يشمل المحرمات والمكروهات، ونحن لا نملك إلا أن نحب من أطاع الله ونواليه على ذلك ونبغض من كفر بالله وحسّن طريق المعاصي والفجور لخلق الله ونعاديه على ذلك، والهفوات التي تبدر ممن يحرص على الاستقامة إما أن نعالجها بروح الأبوة الحانية أو الأخوة الشفوقة ونعين صاحبها على طاعة الله لا أن نعين الشياطين على نفسه، وإما نقف على منصة القضاء العادل الذي يحكم بما أنزل الله ولا نُدين إلا ببيّنة ولنعلم أن الخطأ مرفوض والباطل مردود على صاحبه كائناً من كان وفي هذه الحالة فليس لنا أن نُشهِّر أو نعمم التهمة على كل من سلك طريق الله واستقام على شرع الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾

[النور: ١٩].

وإليك بعض خصائص وسمات الشخصية المسلمة:

أولاً: الربانية أو الصبغة الإلهية، فهذه الهداية نحتاجها في كل ناحية من نواحي الحياة ومع كل نفس من أنفاسنا في العقيدة والشريعة والأخلاق والحكم، وهي تؤخذ من الإسلام وحده ولا يصح خلطها بالفلسفة، ولا يمكن الحصول عليها من أديان منحرفة أو مبادئ ضالة ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠].

ثانياً: بصيرة وفرقان نميز بها بين الحق والباطل والإيمان والكفر ولابد فيها من علم نافع وعمل صالح ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨)﴾ [يوسف: ١٠٨].

ثالثاً: المسلم بشر يصيب ويخطأ، ويحب ويبغض، ويأكل ويشرب ويتزوج ويعمر الأرض بطاعة الله، يعمل ويتكسب ويتطلع إلى السماء، ولا ينسى أنه واقف على سطح الأرض، فلا يبنى قصوراً في الرمال، ولا يسبح في غير ماء، يأخذ بالأسباب ويفوض الأمر كله لله، ويعطى كل ذي حق حقه فلربه عليه حق ولأهله عليه حق، ولنفسه عليه حق، فالهروب من الحياة والإنقطاع في الخرائب وتعذيب الجسم وتحريم ما أحل الله صور منكرة، وقد قال النبي ﷺ لحنظلة: «**ساعة وساعة**» وكررها ثلاثاً [(١)].

رابعاً: العزة فلا كبر ولا غرور، والمسلم لا ترهبه صولة الباطل ولا عنفوان الكفر، فلا يخجل من انتمائه للإسلام، ولا من إظهاره لشعائره، يبلغ شريعة الإسلام وعقيدته للناس كافة وهذه العزة مصدرها الإيمان لا الجنس أو اللون أو اللغة أو المال أو النسب ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿ **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** (١٣٩) ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

خامساً: التمسك بالحق والثبات عليه، والمجاهدة في سبيله، فالمسلم يتخوف على نفسه من المعصية ويتعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، يتضرع إلى ربه ويعلم أنه لا حول ولا قوة إلا بالله ويستصحب في سفره إلى ربه زاد التقوى ويصبر على ما أصابه، ويعلم أن العاقبة للمتقين، وأن النصر عقبى الصابرين.

سادساً: الأوبة إلى الله، فالمسلم شديد الحب لربه قوى التعلق به، ويتمنى لقاءه سبحانه في غير ضرَّاء مضرة ولا فتنة مضلة، يُحدثُ لكل ذنب توبة ﴿ **التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** (١١٢) ﴾ [التوبة: ١١٢].

سابعاً: الشمول، المسلم ينظر لإسلامه ككل دون تبعيض أو تجزيء، فصورته مبرأة من الشوائب والتشويه شاملة لجميع جوانبه وأجزائه مع ترابطها وحفظ نسبها،

---

(١) رواه مسلم.

ومواقعها، فهو عبارة عن عبادات ومعاملات، دين ودولة، سياسة واقتصاد، واجتماع وأخلاق، فقه وتوحيد، علم وعمل ودعوة، حرب وسلم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧)﴾ [الحج: ٧٧].

وهذا هو فهم سلفنا الصالح من الصحابة ومن تابعهم بإحسان، ولذلك لما أراد «رُسْتُم» أن يثني «رِبْعي بن عامر» عن القتال بإغرائه بالمال رد عليه ربعى بقوله: « ما لهذا جئنا، إنَّ الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام »، إنها النظرة الرحبة لكل جوانب الإسلام كمنهج رباني لا يعتريه نقص بما فيه من عقيدة وسلوك وأخلاق وتنظيم لحياة الفرد والأسرة والدولة، وإقامة أركان الحياة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية مع رفض تجزئته إلى دوائر الفلسفة والكلام والتصوف.

ثامناً: التقدم لا الرجوع للوراء، فالسلفية ليست دعوة رجعية، ولا تعارض بين الرجوع للكتاب والسُّنة، بفهم سلف الأمة وبين معانى التقدم، فالعلوم المادية التجريبية كالصناعة والزراعة والهندسة والطب... تؤخذ من كل من أفلح فيها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ولقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

والمؤمن القويّ خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وقد أمر الشرع بإطلاق البصر في ملكوت السماوات والأرض، وفتح الإسلام نوافذ الاكتشافات والاختراعات، فلا حرج في بناء المستشفي والملجأ والمدرسة، ولا في صناعة الطائرة والصاروخ، فهذه المعانى لما استُخْدِمَتْ له، فإن استُخْدِمَتْ في مباح كانت مشروعة، وإن استخدمت في حرام كانت محرمة، وليس معنى التطور والتحضر والتقدم أن ننسى ديننا، أو أن نهجر ما جاء في كتاب الله وسُّنة رسوله ﷺ، فلا معارضة في حس المسلم بين إطلاق اللحية

وتقصير الثوب والدعوة إلى الله، وبين إتقان معانى الطب والهندسة... والحضارة التي ننشدها هي التي تقوم على منهاج النبوة وليست التي تعنى الضلال والزيغ عن الحق والتفلُّت من ضوابط الإيمان.

تاسعاً: الأصالة لا التقليد، فالمسلم الذي يرتبط بعقيدته لابد وأن يرفض ترقيع الشخصية، وتقليد الغرب والشرق فيما هم عليه من انحراف بزعم أنه لا وطن للعلم ولا جنسية للإكتشافات والأبحاث، فنأخذ النجاسات الموجودة في أمعائهم كما تنادى البعض يوماً، فلابد من التمييز بين النافع المفيد وبين الضار الخبيث، ويرى ابن تيمية أن التجديد بعد الدروس، فالتجديد إرتقاء وتقدم بالأمة لتسلك طريقها مرة أخرى كلما بعدت عن الصحيح الأصيل المتوارث، وفي الحديث: «**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون** « الأمم » **قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع**» فقيل يا رسول الله كفارس والروم، فقال: «**ومن الناس إلا أولئك**»(١)، وفي حديث أبي سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال: «**لتتبعن سُنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى ولو دخلوا جحر ضب خرب لتبعتموهم**» قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى ؟، قال: «**فمن غيرهم**»، وتأتى آفة التقليد عندما ننسى أصالتنا، ولذلك فالمسلم يرفض الجمود المذهبى، كما يرفض فصل الدين عن الدولة، ويسعى في تطهير العقيدة من شوائب البدع ويتربى على الكتاب والسُّنة وعلى قبول كل جديد في ميادين العلوم التجريبية طالما أنه لا يصطدم بشرع ربه.

١٠ - حيطة النبي ﷺ لجناب التوحيد والتشريع:

[١] بُعث النبي ﷺ على حين فترة من الرسل بعد أن أظلمت الدنيا وأضحى أو كاد أن يختفي نور الإيمان من الوجود، نظر الله إلى أهل الأرض فأبغضهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، كانوا على الحنيفية السمحة، وكان على

---

(١) رواه البخاري .

رسول الله ﷺ أن يواجه طوائف شتى، انحرفت عن دين الله وزعمت أنها على ملة إبراهيم، وكان على رسول الله ﷺ أن يواجه مشركي العرب الذين قالوا: ﴿**أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾ [ص: ٢]، وقالوا عن آلهتهم: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾ [الزمر: ٣]، وقالوا: ﴿**هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ**﴾ [يونس: ١٨]، وكان رد القرآن عليهم: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ﴿**قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا**﴾ [الزمر: ٤٤]، كما كان على رسول الله ﷺ أن يواجه اليهود والنصارى الذين غيَّروا وبدَّلوا وقالوا: ﴿**وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى**﴾ [البقرة: ١١١]، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿**تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة: ١١١]، ولما قالوا: ﴿**نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**﴾ [المائدة: ١٨]، كانت إجابته: ﴿**قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ**﴾ [المائدة: ١٩]، لقد واجه النبيّ هذا وغيره بوحي السماء، وكان عليه أن يرسخ في نفوس أصحابه أصلين عظيمين، الأول: أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، والثاني: أن يعبدوا الله بما شرع وليس بشرع أحد سواه، ولم يسمح صلوات الله وسلامة عليه لأحد أن يخدش أصلاً من هذين الأصلين ولا حتى لأقرب الناس إليه، وكان ذلك منه ﷺ حرصاً وحيطة لجناب التوحيد والتشريع.

ومن الأدلة على ذلك:

(أ) أنه رأى يوماً بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورقة من التوراة، وكان عمر قد أعجبه ما فيها، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، وقال لعمر: «**أهذا وأنا بين أظهركم، لقد جئتكم بها بيضاء نقية... والله لو كان موسى حياً لما وسعه إلا أن يتبعني**»(١)، وهذا الحديث دليل على عالمية الدعوة، وأنه لا يجوز الإهتداء بغير الكتاب والسُّنة فقد أكمل لنا ربنا الدين وأتم علينا النعمة، فلا يصح التعويل في

(١) رواه أحمد والبيهقي والدارمي وحسنه الألباني .

مقام الإهتداء على ثقافة شرقية أو غربية أو على كشوفات أو منامات أو فتوحات ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]، كما يدل على عظيم مكانة رسول الله ﷺ ولزوم متابعته، فموسى وعيسى لو أدركوه ﷺ لتابعوه، فكيف بأممهم، ولذلك أنكر على عمر، فإن كان الإطلاع على سبيل تفنيد الشبهات ودفع الأباطل فلا بأس.

(ب) والدليل الثاني أن رسول الله ﷺ سمع خطيباً يخطب بين يديه فكان مما قاله: «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى» فقال له رسول الله ﷺ: «**بِئْسَ خطيب القوم أنت، قل: من يعص الله ورسوله فقد غوى**»(١)، وهذا الإنكار من رسول الله ﷺ لأن الضمير في «يعصهما» يفيد مساواة المشتركين في الحكم، أى مساواة الله جل وعلا برسول الله ﷺ ثم الخطبة مقام توضيح وتفصيل وبيان، ولابد من حيطة لجناب التوحيد، ولما كان الخطأ على الملأ استدعى الأمر الإنكار أيضاً على الملأ، وضابط ذلك تحقق المصلحة وإندفاع المضرة والمفسدة، وقد ورد هذا التعبير في مواطن أخر بلا إنكار وأجيب على ذلك بعدة أجوبة.

(جـ) والدليل الثالث أن عثمان بن مظعون رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان من خيار الصحابة، لما توفي وحضر عنده الرسول ﷺ سمع الصحابية الجليلة أم العلاء تقول: شهادتى عليك أبا السائب أن الله قد أكرمك... فرد الرسول ﷺ قائلاً: «**وما يدريك أن الله قد أكرمه؟**»، وكان هذا تنبيهاً عظيماً من الرسول ﷺ لهذه الصحابية بأنها قد حكمت بحكم غيبى، وهذا لا يجوز، لأنه لا يطلع على الغيب إلا الله عز وجل، ولكنها ردت قائلة: «سبحان الله يا رسول الله !! ومن يكرم الله إذا لم يكرمه ؟ »، أى إذا لم يكن عثمان بن معظون رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ممن يكرمهم الله تبارك وتعالى فمن بقى منا حتى يكرمه الله تبارك وتعالى.

---

(١) رواه مسلم ، ذكره الحافظ وغيره ، وعلى كل حال ينبغى أن تكون شبهة التسوية منتفية .

وهذا رد في غاية البلاغة والفهم، ولكن رسول الله ﷺ رد عليها بما هو أبلغ من ذلك حيث قال لها: «**والله إني لرسول الله لا أدرى ما يفعل بى غداً**»، فالغيب لا يعلمه إلا الله، وإنما الأعمال بالخواتيم، ونحن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، ومن المعلوم أن عثمان بن مظعون من أفاضل وخيار الصحابة، ولكن لا يَصِحُّ الغلو فيه ولا التعدى بسببه، ولذلك صوبها رسول الله ﷺ وقال لها: «**والله إنى لرسول الله لا أدرى ما يُفعل بى غداً**»، قبل أن ينزل عليه قوله تعالى: ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾ [الفتح: ٢]، فوقف عند الحد المقطوع به، فإذا ثبت أن الشرع قطع لأحد بخاتمة قطعنا له بذلك، ففرعون وأبو جهل في النار، وأبو بكر وعمر في الجنة، ولا شك أن الحديث رد بليغ على مظاهر الغلو التي يفعلها الناس بزعم محبة الأولياء.

(د) والدليل الرابع أن رجلاً جاء إلى الرسول ﷺ فقال له: «ما شاء الله وشِئْتَ»، فقال له ﷺ: «**أجعلتنى لله نداً ؟ قل ما شاء الله وحده**»[1]، فجعل ﷺ المشيئة لله وحده، حتى يعلم المؤمنين أن لا مشيئة لأحد مع مشيئة الله تبارك وتعالى.

(هـ) وأما الدليل الخامس فهو أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم مروا في أثناء خروجهم إلى هوازن بعد فتح مكة على شجرة كان المشركون يعلقون عليها سيوفهم، ظانين أنه من فعل ذلك حالفه النصر في معاركه مع العدو، فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. أي شجرة ينوطون بها أسلحتهم. فقال لهم الرسول ﷺ: «**قلتم والذي نفسي بيده كما قال بنو إسرائيل لموسى ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾** [الأعراف: ١٣٨]»[2]، فبيَّن ﷺ أن هذا من عمل المشركين، وأن مشابهتهم في هذا شرك بالله تبارك وتعالى، إذ طلب البركة والنصر من غير الله عز وجل شرك به تعالى، فلابد من تعليم الناس ما جهلوه وخصوصاً ما يتعلق بجناب التوحيد.

---

(١) رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وحسنه الألباني .

(٢) رواه الإمام أحمد والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

وقد سدَّ رسول الله ﷺ باب العرافة والكهانة وإدعاء علم الغيب، وأخبر ﷺ أن مدعى ذلك كافر، وأن من صدَّق عرافاً أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ، وقد سئل ﷺ عن العرافين فقال: «**ليسوا بشيء** ».

ولما شك الصحابة في « ابن صياد اليهودى » الذي كان يسكن المدينة، وظنوه الدجال الذي حدث عنه رسول الله ﷺ، وأخذ الرسول معه جماعة وزاره في منزله قال له الرسول مختبراً: «**لقد خبأت لك خبئاً**...».

وكان الرسول ﷺ قد أضمر في نفسه « سورة الدخان » فسأله الرسول عما في نفسه، فقال عدو الله: « هو الدخ » ولم يستطع أن يكمل الكلمة، فقال له رسول الله ﷺ: «**اخسأْ فلن تعدو قدرك**» - أي لن تتعدى كونك كاهناً تتصل بالجن - ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**كيف ترى؟**» قال: يأتيني أحياناً صادق وكاذب، أي تأتيه أخبار من الشيطان صادقة أحياناً، وكاذبة أخرى، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد لُبِّس عليه**»(١).

وفي هذا الحديث دليل على أن الشيطان من الممكن أن يسترق السمع ويطلع على ما في نفس المؤمن، ويخبر وليه من الإنس فإن صدق مرة كذب معها مائة كذبة، وأننا مأمورون ألا نصدق من الغيب إلا ما أتانا من طريق الله، ومن طريق رسوله ﷺ فقط.

ومن صور الحيطة لجناب التشريع:

(أ) رأى رسول الله ﷺ رجلاً يمشي في الحج بين رجلين يسندانه فقال ﷺ: «**ما هذا ؟**» فقالوا: يا رسول الله نذر أن يحج ماشياً. فقال ﷺ: «**إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغنيّ !! مروه فليركب**»(٢)، فنهى ﷺ عن فعل لم يشرعه الله عز وجل، وإن كان فاعله قاصداً به التعبد والتقرب إلى الله عز وجل.

---

(١) رواه البخاري ومسلم .
(٢) رواه البخاري ومسلم .

(ب) ورأى رسول الله ﷺ رجلاً آخر يجلس في الشمس فسأل عنه، فقالوا: يا رسول الله نذر أن يصوم ولا يتكلم وأن يجلس في الشمس، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «**ليتم صومه، وليتكلم وليجلس في الظل**» (١)، فأقره رسول الله ﷺ على الصوم الشرعي فقط ونهاه عن الصوم المبتدع وهو السكوت، وإن كان مشروعاً في شريعة سابقة كما في قصة زكريا وقوم مريم عليهما السلام ﴿**إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا** ﴿٢٦﴾﴾ [مريم: ٢٦]، ولكن الله عز وجل لم يتعبدنا بهذه الشريعة، وأمره بأن يتحول إلى الظل، لأن الجلوس في الشمس مع وجود الظل تكلف سخيف، وخروج عن جادة الحق، وعبادة لم يشرعها الله سبحانه وتعالى.

(جـ) وأبلغ من الدليلين السابقين حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن أباه شكاه إلى الرسول ﷺ بأنه زوجه امرأة من أشراف العرب، ومكث يسألها كل يوم: كيف رأيت زوجك ؟ فقالت: صالحاً غير أنه لم يطأ لنا فراشاً... وذلك لخمس عشرة ليلة، فقال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص، **بلغنى أنك تصوم النهار وتقوم الليل** فقال: نعم يا رسول الله، ثم قال له الرسول ﷺ: **صم من كل شهر ثلاثة أيام**، فقال: يا رسول الله ! قال ﷺ: خمساً، قال: يا رسول الله ! قال: سبعاً... قال: يا رسول الله ! **قال: تسعاً**، ثم قال له في النهاية: **صم صيام أخى داود كان يصوم يوماً، ويفطر يوماً، ولا يفر إذا لاقى**» (٢).

(د) وفي الحديث الصحيح الآخر أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن صومه، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً، وجلس عمر بن الخطاب يقول: «**رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً حتى سكن غضب النبي ﷺ**» (٣)، وسرُّ غضبه صلوات الله وسلامه عليه أن هذا السائل أراد أن يضاهي فعل الرسول ﷺ في هذه العبادة التي كان له فيها

---

(١) رواه البخاري .
(٢) هذا الحديث مركب من روايتين رواهما مسلم .
(٣) رواه البخاري .

خصوصية، وهي أن يواصل اليوم واليومين والثلاثة وكان يُسأل ﷺ عن ذلك فيقول: «**لست كهيئتكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني**» (١).

(هـ) وأبلغ هذه الأدلة كلها في مسألة التعبد والتقرب، أنه لا يجوز فيه إلا اتباع المشروع، والتقيد بالكتاب والسُّنة هو حديث النفر الثلاثة الذين أتوا إلى بيوت النبي ﷺ، فسألوا عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقال أحدهم: وأين نحن من رسول الله ﷺ! إن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. أما أنا فأقوم، ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الثالث: أما أنا فلا أتزوج النساء، فلما رجع رسول الله ﷺ وأخبر خبرهم صعد المنبر، وجمع الناس ثم قال: «**ما بال أقوام يقولون كذا... أما إن أعلمكم بالله، وأتقاكم لله أنا، أما إني لأصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، ومن رغَب عن سنتي فليس مني**» (٢).

ولم يكتف الرسول ﷺ ببيان كل ذلك، بل أعلن في كل خطبة من خطبه للناس: «**وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**» (٣)، وقال أيضاً: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» (٤)، فكل عمل محدث يراد به التقرب إلى الله عز وجل فهو مردود على صاحبه فالتعبد هو بالمشروع فقط.

ولقد أصَّل الرسول ﷺ بعد ذلك أصلاً خطيراً، وهو تعمد مخالفة أهل الكتاب والأمم الأخرى، وذلك حتى تتحقق ميزة الأمة بالمنهج المستقل والأفعال المستقلة، وحتى لا تختلط أفعال الأمة وعباداتها بأفعال الأمم الأخرى وعباداتها، فأمر أن نصلي بالنعال والخفاف مع العلم أن خلعها أتم لمعاني الخضوع والذلة، وذلك مخالفة لليهود والنصارى الذين لا يصلون في خفافهم ونعالهم، فقال: «**خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم**».

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه البخاري ومسلم .
(٣) هاتان لجملتان جزء من خطبة الحاجة التى كان رسول الله ﷺ يبدأ بها خطبه .
(٤) رواه البخاري ومسلم .

وعلى هذا النهج سار الصحابة ﷺ في الحيطة لجناب التوحيد والتشريع، ومن أكبر الأدلة على ذلك أن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دخل المسجد في الكوفة فرأى حلقاً، وفي وسط كل حلقة كوماً من الحصى، ورجل قائم على كل حلقة يقول لهم: سبِّحوا مئة فيسبحون مئة، احمدوا مئة فيحمدون مئة، كبروا مئة، فيكبرون مئة، فقال لهم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا قوم! والله لأنتم على ملة هي أهدى من ملة رسول الله ﷺ أو مقتحموا باب ضلالة [١]، وهذه قضية منطقية سليمة، فهؤلاء إما أن يكونوا أهدى من الرسول ﷺ لأنهم قد وفقوا لعمل لم يصل إليه علم رسول الله ﷺ، وإما أن يكونوا في ضلالة، والفرض الأول منتفٍ حتماً، لأنه لا أحد أفضل من رسول الله ﷺ، فلم يبقَ إلا الفرض الأخير، وهو أنهم قد اقتحموا باب ضلالة، «فقالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير»، وهذا دليل منهم على صلاح نياتهم، وإرادتهم وجه الله تبارك وتعالى بهذا العمل المبتدع. ولكن عبد الله بن مسعود قال لهم: «وكم من مريد للخير لم يبلغه» !! وهذا معناه أن النية وحدها لا تكفي لتصحيح الفعل، بل لابد أن ينضاف إلى ذلك التقيد بالمشروع.

وطرد عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القصاصين من المساجد، وهم الوعاظ الذين يعظون الناس، ويزعمون ترقيق قلوبهم بالقصص الخيالي، والحكايات والأساطير، وأنكر ابن عمر على رجل عطس، فقال: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، قائلاً له: ما هكذا علمنا رسول الله ﷺ بل قال: «**إذا عطس أحدكم فليحمد الله**» ولم يقل: وليصلِّ على رسوله [٢] !! فعلينا أن نسلك مسلكهم في الحيطة لجناب التوحيد والتشريع، وأن نتحقق بهذين الأصلين فمن كان على مثل ماكانوا عليه فقد اهتدى.

---

(١) رواه الدارمي وصححه الألباني .
(٢) رواه بنحوه الترمذي والطبراني والبزار.

فهرس

فهرس